خلف قضبان الحياة

رواية

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: خلف قضبان الحياة
اســـم المـؤلف: سعاد محمد عمر
التصنيف الأدبي: رواية

رقم الإيـــــداع: 13746 / 2024

الترقيـم الدولي: 2 - 966 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: د. هبـة ماردين
تـصـميـم الغلاف: سعاد محمد عمر
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201030502390
dewanalarabegypt@gmail.com

خلف قضبان الحياة

رواية

سعاد محمد عمر

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى كل من تعثرت قدماه وأوقفته عقبات الحياة عن السير في طريق أهدافه وأحلامه..

إلى كل من التهم الصراع وجدانه واستسلم لضعفه..

إلى نفسي التي لم تخذلني في اختيار كلماتي..

إلى كل من قوى عزيمتي وشجعني لأعود من جديد براويتي لكم..

سعاد محمد عمر

****

الفصل الأول

رفعت الجلسة...

كانت تلك الكلمتان هما آخر ما ذكر بقاعة المحكمة بعدما نطق القاضي بتحويل أوراق المتهمة إلى المفتي؛ لتعج القاعة بعدهما بالهرج والمرج ما بين معارض ومتعاطف مع المتهمة أو مؤيد للحكم لما اقترفته من جُرم.

لكن على عكس كل الحضور وداخل قفص الاتهام، جلست المتهمة ذات العينين الواسعتين فاتحتيّ اللون اللتين تميلان للون الأخضر، صاحبة بشرة بيضاء التي اقترنت بحمرة خدودها، وقد بدا طرف شعرها الأسود الكثيف الناعم تحت غطاء رأسها الأبيض

سمر المشهورة باسم سماهر، ذلك هو اسمها.

وها هي الآن مقيدة اليدين، تقف خلف قضبان تلك النافذة الصغيرة داخل سيارة الترحيلات طوال طريقها إلى محبسها ناظرة من خلالها، والغريب أنّ ابتسامتها لم تغِب عنها، وعلى وجهها ارتسمت ملامح الهدوء والسكينة حتى يخيل من يرى حالتها أنّها قد نالت براءتها!

أما هي فلقد كان هدوؤها علامةً لما يجيش في صدرها؛ فهي كانت ترى أن في إعدامها خلاصها.

وما إن وصلت إلى سجنها حتى ارتدت ملابسَ جديدة من اللون الأحمر الذي تعشقه منذ الصغر، والذي على ما يبدو قد صار آخر ما سترتديه.

عادت إلى غرفتها الصغيرة شبه المظلمة داخل السجن الكبير التي وجدت فيها الأمان الذي لم تحظَ به في العالم الخارجي.

مكتب المأمور

في الوقت نفسه، جلس اللواء صفوت مأمور السجن الجديد على مكتبه، والذي اشتهر بـحاسته السادسة، التي كثيراً ما فاقت خبرته، وكانت دائماً ما تنبئه بالسجينات اللاتي تعرضن للظلم والقسوة في تلك الحياة، فكان يتعاطف معهن، ويشعر بمسؤوليته الإنسانية تجاههن.

ومع وصول سماهر إلى سجنه يرافقها الحكم بإعدامها، والذي سيتطلب منه نقلها إلى عنبر الإعدام، لذا فلقد طلب ملفها لدراسته، والآن ها هو يتصفح ذلك الملف والذي تحت عنوان السجينة المشهورة باسم سماهر، والمدعوة في ملفها باسم سمر محمد عبد التواب.

داخل أحد المنازل القديمة بأحد الأحياء العشوائية الفقيرة والتي يسودها الجهل وعدم الوعي وانتشار الأوبئة والجراثيم، ولدت سمر داخل غرفة

فقيرة تحت سلم ذلك البيت لأسرة فقيرة، وبما أنّ ليس بيد أي مولود اختيار أهله أو البيئة التي ينشأ فيها لذا فقد بدأت مأساة سمر.

وكأغلبية سكان هذه المناطق، فكبارهم إما متسولون أو لصوص، أما أبناؤهم فإنهم يلحقونهم بالعمل داخل الورش والمحلات أو بالعمل كشحاتين في إشارات المرور، والقليل منهم من يقومون بتعليم أبنائهم بالمدارس الحكومية التابعة للمنطقة السكنية لهم.

ولسوء حظ سمر كان والدها رجلاً سكيراً عاطلاً جالساً دائماً داخل المنزل ينتظر عودة أمها من عملها كي تعطيه ما تحصلت عليه؛ كي يبتاع زجاجة خمرته رديئة الصنع، أما أمها فهي سيدة ضعيفة تقبلت وضع معيشتها المذلة وأخطاء زوجها السكير دون أن تتفوّه شفتاها بكلمة واحدة، أو أي اعتراض حتى تحافظ على ابنتها، فهي لا تستطيع الحصول على مأوى آخر، كما أنّها وحيدة بلا عائلة تستطيع أن تلجأ إليها.

فكانت تعمل بتنظيف المنازل لتوفير قوتهم اليومي حتى تربي ابنتها الوحيدة والتي كانت تحلم وتتمنى أن تتعلم بأحد المدارس عندما تكبر مثل بعض أطفال الحيّ، إلا أن زوجها العاطل كان يستولي على كل ما تتحصل عليه أولاً بأول، اللّٰهُمَّ إلا القليل الذي كانت تخفيه عنه لمعيشتها هي وابنتها.

ظلّ هذا الوضع حتى أصبحت سمر عمرها ست سنوات، فكانت كلما تمر بأبواب المدارس تحلم باللحاق بها كباقي الأطفال في عمرها، وكان قلب أمها يعتصر عندما تلمح نظرات ابنتها، لكن القدر كان يخبئ لها شيئاً آخر، إذ أجبرها أبوها على الشحاتة بإشارات المرور، طلباً للمساعدة واستعطاف البشر لجلب المال له حتى يتعاطى الخمور والمخدرات.

وعلى الرغم من صغر سنها فكثيراً ما رفضت هذا الوضع إلا أنّها كانت مجبرة عليه، وحين كانت تعلن عن ذلك الرفض كانت تتعرض لمعاقبة أبيها لها بالضرب أو حرمانها من الأكل، إلا أنها كانت لا تبالي بأي عقاب منه، فنمت بداخلها جذوة التمرد يوماً بعد يوم إلا أنها نجحت في تغيير نشاطها من الشحاتة لبيع المناديل أو الفل.

وها هي الآن قد صار عمرها خمسة عشر عاماً قضتهم بين الشوارع والطرقات والسيارات، وعيون نهمة تطمع بها وتحاول التحرش بها بالكلمات أو بجسدها، فلقد نضجت الفتاة وصارت ممشوقة القوام جميلة الملامح والخُلق ذات ابتسامة ساحرة بريئة يعشقها كل من يراها، ولضحكتها المشرقة التي تخرج منها رغم المعاناة التي تعيشها وتتعايش معها.
وذات يوم اشتدّ عليها التعب والإعياء من شدة الحرّ والشمس الحارقة، فقررت أن تعود إلى المنزل لتنصدم بما يحدث من أبيها الذي كان في غير

وعيه بسبب شرب الخمر، فرأته يضرب أمها محاولاً إجبارها على مضاجعته بقوة وعنف، وهي تتوسل له أن يتركها من شدة ما يفعله بها من إيذاء نفسي وجسماني كما اعتاد في كل مرة، دون أن يهتم لصراخها والألم الذي يسببه لها.

أخرج هذا المشهد سمر عن وعيها، فسارعت لإنقاذ أمها التي تمكنت منها سنين مشقتها وعذابها مما عاشته، فباتت لا تتحمل هذا الوضع، فلم تشعر سمر بنفسها إلا وهي تهجم على أبيها وتضربه ليترك أمها.

ودون أن يدري حمل الأب السكير ابنته ودخل بها إلى غرفة نومه وأغلق بابها ثائراً ملقياً بها فوق الفراش وقد التمعت عيناه من الشهوة، ولم يعد يرى أمامه غير فريسة جميلة صغيرة، ولعب الخمر برأسه أكثر وأكثر وجردته من آدميته، بل وسلبته من أبوته التي لم يشعر بها يوماً ولم يستحقها؛ فانقض على وحيدته يغتصب كل ما تمتلكه من عذرية، وما بداخلها من إنسانية وأحلام طفولتها التي تختبئ داخلها منذ ولادتها.

وكانت كلما قاومته كلما ثار أكثر وتملكت منه شهوته، فبدأ ينهال عليها بالضرب لامتناعها ومقاومته حتى خارت قواها أمام عنفه وجبروته ليسقط رأسها على الفراش فاقدة للوعي لينقض عليها كالذئب دون أن يبالي بصراخ أمها وطرقاتها القادمة من خلف الباب المغلق من الداخل، فبات

صراخها وبكاؤها هو كل ما تملكه للدفاع عن ابنتها، لكن أبداً فها هي سمر قد وقعت بين أنياب هذا الحيوان المتوحش الذي لا ينتمي للبشر بأي صفة.

مع عودة وعيها إليها، أدركت سمر أنّ حياتها قد انهارت ودمرت نهائياً، ولم يتبقَّ لها أي شعاع نور تهرب إليه، فأخذت تبكي وتكوّمت في أحد أركان الفراش، وقد ضمت قدميها إلى صدرها وأخفت وجهها بين ركبتيها تنعى حظها غير قادرة على الحركة، وكلما رفعت عينيها ولمحت ثوبها الملطخ بدمائها شعرت وكأنه قد تحول إلى ثوب من النيران تحرق جسدها.

فتح الأب الباب خارجاً غير مبالٍ بما فعل، ولا بشتائم زوجته أو ضرباتها الضعيفة والتي أسرعت إلى ابنتها، ومع رؤيتها لحالتها المزرية أدركت ما حدث لها، فسقطت على الأرض مصابة بجلطة أدت إلى شلل كامل بجسدها، لم تستطع بعدها الحركة أو الكلام لتكمل باقي أيام حياتها في حسرة على ما صار لابنتها.

رقدت أم سمر بعد أن فقد جسدها ميزة الحركة اللّٰهُمَّ إلا حركة رموش عينيها، وظلت سمر ترعاها على الجانب الآخر، فلقد عاود المدعو والدها تكرار محاولاته لاغتصاب ابنته وكأنه أصبح حقاً مكتسباً له أمام مرأى ومسمع أمها العاجزة عدة مرات، مما زاد من كره سمر له التي لم تعد تملك

القدرة على المقاومة أو الرفض بعدما هددها ذلك اللعين بقتل أمها إن هي لم تستجب لرغباته الشاذة اللعينة.
وفي كل مرة تقف تحت الماء باكية بعد أن ينتهي من نهشها، تحاول إزالة رائحته النتنة من على جسدها الذي باتت تكرهه وكانت في كل مرة تنطلق إلى حضن أمها لتدفن ما تبقى من أنفاسها داخله.

مع مرور الأيام لم تستطع الأم تحمل ما يحدث لابنتها الوحيدة وأنها باتت السبب الرئيسيّ لما يحدث لها وهي عاجزة عن حمايتها، توفيت من شدة قهرها وحزنها على فلذة كبدها وهي بين يديها، أخذت سمر تصرخ على فراق أمها التي تركتها تواجه مصيرها المجهول بمفردها.
حزنت سمر على وفاة أمها كثيراً والآن وبعد أن فارقت الحياة من كان يهددها بذبحها حتى تستجيب لرغباته، اشتعلت بداخل سمر رغبة الانتقام من أبيها وقررت عقابه على ما فعله بها وبأمها.

وذات ليلة، أخذ يتقرب منها فلم تمتنع عنه، بل طاوعته وأوهمته بالموافقة واستعدادها لأن تكون له، فتملك منه السرور وقامت وأحضرت له زجاجة خمر والتي كانت قد وضعت له فيها حبوباً منومة، وما إن رقد على الأرض غائباً عن وعيه وصار غير قادر على الحركة، حتى أخرجت سكيناً كبيراً كانت قد اشترته خصيصاً له، وأخذت تطعنه بكل قوة لديها، ونسيت

أنه والدها تماماً، وأخذت تطعنه وتطعنه حتى تشفي غليلها.. وتنتقم لضياعها هي وأمها.

والآن حان وقت أن تواري جثته، فهي لن تسجن بسبب ذلك الحيوان غير الآدمي، فقامت بدفن جثمان أبيها داخل حفرة أعدتها بمنور الغرفة المقيمة بها، كانت قد أعدتها ثم قامت بدفنه فيها وردمتها بالرمال وتغطيتها بطبقة من الإسمنت.

وهربت سمر وهي لم تتجاوز العشرين عاماً من عمرها... ولكن أين الملجأ يا صغيرتي؟ إلى أين ستذهبين؟ كيف ستعيشين؟
لقد ضاعت الخطى من بين قدميها بسبب خوفها من جريمتها،
فهل هي الجاني أم المجني عليها؟
وتملّك منها الخوف وبات صديقها اللدود.

****

الفصل الثاني

خرجت سمر هاربة إلى شوارع القاهرة الواسعة بعيداً عن منطقة سكنها حتى وصلت إلى منطقة المهندسين، فلم تكن تدري ماذا تفعل؟ أو إلى أين ستذهب؟ ولا ماذا ستعمل كي تكسب رزقها ولا أين ستقيم؟ كان كل همها أن تبتعد تماماً عن منطقتها، وقررت أن تكسب رزقها بالتسول من المارة والسيارات، وبالرغم من أنّ الكثيرين قد ساعدوها، إلا أنّها كانت تتعرض أيضاً للكثير من التحرش، وإلى سباب بعض السيدات وغيرتهن من نظرة إعجاب أزواجهن لها، وأيضاً إلى توقف بعض سيارات الشباب وكبار السن لاصطحابها معهم

وفي كل ليلة وبنهاية اليوم، تأوي إلى إحدى محطات الأتوبيسات لتبيت في أحد أركانها باكية لا تعلم ماذا تفعل يرافقها خوفها ينهش أعماقها من اكتشاف جريمتها وإمساك الشرطة لها، وما قد يحدث لها عند اكتشاف قتلها لأبيها والقبض عليها، وتوقف خيالها وشرودها على صوت رجل شرطة يقترب منها...

_ رجل الشرطة بغلظة: ماذا تفعلين هنا؟

ارتسم الرعب على وجه سمر؛ فهبّت جارية من أمام ذلك الشرطي الذي أسرع يطاردها عبر شوارع المنطقة حتى استطاعت أن تختبئ داخل إحدى العمارات، وما إن اطمأنت لابتعاده حتى أسرعت بالخروج لتنطلق راكضة عكس اتجاهه لا تدري أين تذهب حتى أعياها الركض فجلست على أحد الأرصفة.

وأثناء جلوسها، اقترب شاب لم يتجاوز الثلاثين منها

_ الشاب: من أنتِ؟ ماذا بكِ؟

التفتت سمر إليه وقد امتلأ وجهها رعباً، ثمّ هبّت واقفة ناظرة إلى ذلك الشاب الذي ارتسمت ابتسامة هادئة على وجهه، وقد بدا لها من تلطخ ملابسه ببقع زيتية، إنّه يعمل ميكانيكياً بإحدى الورشات، وما إن رفعت رأسها حتى لمحت لافتة إحدى الورشات.

كرر الشاب سؤاله...

_ سمر: أبحث عن عمل ومكان للمبيت فيه، فأنا لست من القاهرة وليس لي أهل.

_ نظر الشاب لها بإشفاق، ثمّ اقترب منها: أنا وحيد أعمل هنا بتلك الورشة (مشيراً إلى مكانها المقابل) منذ عشر سنوات، ما رأيك أن تصحبيني إلى منزلي لقضاء هذه الليلة.

ارتدّت سمر إلى الوراء وقد أصابها القلق من ذلك الشاب.

_ وحيد: لا تقلقي هكذا، أنا أعيش مع أمي وأختي وستبقين معنا وغداً نرى كيف نساعدك، فالوقت الآن متأخر وأنتِ وحدك وهذا غير مقبول.

_ سمر وقد تملكها التوتر: وهل ستقبلان أن تقيم معكم فتاة مثلي من الشارع؟

_ وحيد ضاحكاً: لا تقلقي، فأمي سيدة طيبة وكثيراً ما ساعدنا من هم مثلك.

تملّك الخوف من سمر بداية الأمر، ولكنها حدثت نفسها: ماذا سوف يحدث لي أكثر مما حدث، الأفضل أن أذهب معه على أن أبقى بين كلاب الشوارع ورجال الشرطة.

انطلقت سمر مع وحيد إلى منزله، وما إن دخلا شقته حتى وجدا أمه جالسة على سجادة الصلاة ترفع يدها للسماء وتدعو له بالرزق الوفير، وتدعو لأخته بالهداية وصلاح الحال، وأثناء نظر سمر لها إذا بفتاة جميلة في منتصف العشرين من العمر تخرج من الغرفة المقابلة لها، والتي ما إن لمحتها حتى رفعت حاجبها وأخذت تنظر إلى سمر من رأسها إلى أخمص قدميها.

_ الفتاة دون أن ترفع نظرها عن سمر: ماذا أحضر الغراب لأمه؟ ما الذي أحضرته لنا يا سيد وحيد معك اليوم.

أصيب وحيد بالحرج من أسلوب نوال أخته التي تصغره بعامين والتفت إليها.

_ وحيد: عيب عليكِ هذه الألفاظ تأدبي.

_ أطلقت نوال ضحكة عالية وبسخرية: آه عذراً نسيت أني أتحدث إلى كبير المهندسين الميكانيكيين الذي يدير شركة والده رجل الأعمال الكبير الله يرحمه.

ثم أخذت تضحك بشكل هستيري وبأسلوب يثير الاستفزاز، ولم تتوقف إلا بعدما نزلت صفعة قوية من يد أمها على وجهها.

_ الأم: تأدبي يا ملعونة.

همّت الفتاة بالكلام والصراخ في وجه أمها بصوت عالٍ إلا أن وحيد استوقفها.

_ وحيد: نوال.. إياكِ أن ترفعي صوتك على أمك، وإلا أنا من سيضربك هذه المرة.

تعجبت نوال من ردة فعل أخيها التي لم تعتَد عليها، فهو هادئ دائماً! وكتمت غيظها داخلها لثوانٍ، ثمّ لم تستطع أن تصمت وانفجرت صارخة

_ نوال: إذاً هكذا صار الموضوع تريد أن ترفع يدك على وتضربني أنت أيضاً ومن أجل من! هذه... حسناً أنا لن أجلس معكم مرة أخرى، فهنيئاً لكما بالبيت وبما فيه.

وقبل أن تدخل غرفتها التفت ناظرة إلى سمر التي لم تعلم من هي أو كيف ولماذا جاء بها وحيد إلى البيت، ولكن هذه المرة تفحصتها بشكل غريزي غير مفهوم مغزاه...

فارتدت خطوتين ناظرة لها بكل مقت: أما أنتِ أيتها الجميلة فحسابك معي سيبدأ.

ثمّ عادت إلى غرفتها مغلقة الباب خلفها بكل قوة والذي كاد يُخلع من مكانه.

قطع كل هذه الأحداث صوت أم وحيد الحنون.

_ الأم: تفضلي يابْنتي سامحينا على ما حدث لقد اتصل بي وحيد وروى لي عنكِ وعن حضورك معه اليوم، والله أنا محرجة منكِ.

_ ابتسمت سمر: لا عليكِ كل بيت فيه ما فيه وربنا الهادي.

ثم أخذت تحدث نفسها: أنتم أحوالكم أفضل من المستنقع الذي كنت أعيش فيه.

_ قطع وحيد حديثها لنفسها: ستنامين الليلة مع أمي بغرفتها وفي الصباح الباكر سوف أبحث لكِ عن عمل إن شاء الله.

_ سمر: ومكان أسكن فيه بعد إذنك.

شعر وحيد بالحرج وظنّ أنّ سمر لا تريد أن تظلّ بمنزلهم لما رأته من أسلوب وأخلاق أخته، فصمت لثوانٍ، ثمّ قال وحيد:

_ غداً إن شاء الله كل ما يريده الله سوف يكون.

في الصباح الباكر استيقظت سمر على صوت أم وحيد توقظها للإفطار، فابتسمت سمر فهي لأول مرة تستيقظ على صوت حنون غير صوت أبيها الشرير الذي كان يوقظها على الضرب والإهانة، لأول مرة في حياتها تنام على فراش وثير، غرفة واسعة، لأول مرة تشعر بشيء من الدفء.

جلست سمر على مائدة الفطور وبجانبها أم وحيد تنادي على نوال التي خرجت تصرخ بوجهها.

_ نوال: ألم أقل لك أني استيقظت.

_ أدارت أمها وجهها عنها في حرج: ربنا يهديكِ ويكفينا شر لسانك اجلسي لتفطري.

جلست نوال في مواجهة سمر تتفحصها بنظرات ثاقبة خبيثة لكل جزء بجسدها، مما أصاب سمر بالارتباك الشديد، ثمّ نظرت إلى أم وحيد.

_ سمر: هل تحتاجين لشيء أساعدك فيه بالبيت؟

_ فابتسمت أم وحيد: ربنا يخليكِ ويبارك فيكِ يا بنتي.

_ أطلقت نوال ضحكة خبيثة: ابنك أحضر لك خادمة تساعدك بالبيت حتى لا ترهقي دماغي بطلباتك.

أطلقت أم وحيد شهقة!

_ الأم: عيب عليكِ يا عديمة التربية، هذه بنت ناس محترمة ومتربية أحسن منكِ، وأكيد ظروفها السيئة هي التي أجبرتها أن تقابل مثل أمثالك، فوضت أمري فيكِ لله هو القادر على كل شيء.

خجلت سمر مما دار بين الأم وابنتها من حديث، فنهضت دون كلام، وأخذت تنظف المائدة وتحمل الأطباق.

_ نوال ضاحكة: قلت لكِ خادمة حلوة وشاطرة أيضاً، ثمّ مالت نحو سمر هامسة: لكِ عندي وظيفة ستعجبك جداً، لكن عليك أن تفتحي عقلك معي وسوف أجعلك تلعبين بالفلوس لعباً، ثمّ أخذت تضحك...

اعتقدت سمر أنّ نوال تسخر منها كما إن كلماتها ونظراتها لها كانتا تقلقانها.

ومر على ذلك الوضع شهر وأصبحت سمر تتعايش مع هذه الأوضاع وكانت سعيدة لاهتمام وحيد وأمه بها وكأنها فرد من العائلة، بعدما أبلغاها أن تنسى أمر العمل أو الانتقال خارج المنزل، وأن تعتبر نفسها أحد أفراد

العائلة بعدما رأوه منها من حسن الأسلوب والأمانة، وبدأت نوال هي الأخرى تحدثها بلطف وبدا أنها تريد أن تتقرب منها أكثر وأكثر، لكن سمر رغم تقبل الحياة الجديدة التي كانت تتمناها، إلا أنّ خجلها وإحساسها بأنها عبءٌ ثقيلٌ عليهم كان يجعلها تفكر بالخروج والعمل لتوفير المال.

وذات يوم جلست نوال بجوار سمر هامسة لها: هل تريدين العمل؟ (وقبل أن تجيبها) لكِ عندي وظيفة.

_ نظرت لها سمر: جد أم كعادتك تسخرين مني؟

_ فاقتربت نوال أكثر: جد، ولكن بشرط ألا تتحدثي عن هذا الموضوع لوحيد أو أمي.

اندهشت سمر من طلبها، ولكن لحاجتها إلى ما تعرضه عليها ولقناعتها أنه ليس من المنطقي المكوث بهذا البيت مدة أطول من هذا وافقت على شرطها، واتفقت معها للخروج باليوم التالي.

جاء الصباح وخرج وحيد للعمل وكان كل يوم يمر عليه يزداد تعلقا بسمر أكثر فأكثر، مقرراً ألّا يسألها عن نفسها وأهلها أو عن حياتها من قبل حتى لا يحرجها، وبات يفكر في الارتباط بها والعيش معها كزوجة له... محدثاً نفسه: لا يعنيني حياتها أو ماضيها، ولكن أمرها الآن يهمني ويكفيني ما رأيته منها خلال تلك المدة، ثمّ قرر أن يتحدث مع أمه بعد عودته من

العمل ليأخذ رأيها في الموافقة على زواجه من سمر على أن تتحدث معها لتعرف رأيها في الزواج منه في حال موافقتها دون أن يدري أنّ القدر قرر أن يكتب صفحات جديدة بحياة سمر.

استعدت سمر للخروج مع نوال مبررة لوالدة وحيد أنها ستذهب لشراء بعض الأغراض مع نوال، ولكن كان قلب أم وحيد غير مطمئن لخروج نوال معها، فلقد كانت أدرى الناس بابنتها، وما يكمن بداخلها من كراهية للجميع وبالأخص سمر المسكينة.
وتذكرت سلوك ابنتها وماضيها حين تزوجت من أحمد صديق أخيها بالعمل والذي كان يهيم بها حباً، فكان كلما وقعت عينه عليها لا يستطيع أن يبعدهما عنها، ولأنّه شاب محترم طيب تقدم لطلب يدها والزواج منها من خمس سنوات ومَرّ العام الأول من زواجهما ولم ترزق منه نوال بطفل، فبدأت الخلافات تنشب بينهما من أجل عدم الإنجاب، خاصة بعدما أجرت تحاليل أثبتت سلامتها وعدم وجود مانع لديها للإنجاب.

مع قلة المال وعدم قدرته على تلبية مطالبها الزائدة عن اللازم، أخذت تتشاجر معه من أجل خروجها للعمل إلا أنه أصر على رفضه لهذه الفكرة وكثرت الخلافات خاصة بعدما اكتشفت أنها هي التي غير قادرة على

الإنجاب، وأن أحمد أخفى ذلك عنها بالاتفاق مع طبيبها المعالج حرصاً منه على عدم أذيتها نفسياً وعدم استطاعتها أن تكون أماً.

وبرغم كل المشاكل التي أثارتها إلا أنّ أحمد ظلّ متمسكاً بها محاولاً ألّا يجرحها، إلا أنها استمرت في افتعال الكثير من المشاكل حتى طلبت الطلاق منه وأصبح أحمد يعاني من سلوكها غير اللائق معه، حتى تفاجأ بتركها للمنزل دون علمه والعمل بأحد المستشفيات.

وعندما وصل الخبر إلى وحيد ذهب لهما بصحبة والدتهما وحاولا تهدئة الوضع، إلا أنّ نوال قامت بسب زوجها أمامهما وهنا لم يتحمل أحمد إهانته وإذلاله بهذا الشكل أمام أهلها وبعض من الجيران فقام بطلاقها.

عادت نوال إلى بيت أهلها وصممت على استمرارها بالعمل ولم يستطع أحد إجبارها على تركه، وبدأت تتأخر كل ليلة متعللة بأنّ وردية عملها تبدأ قبل منتصف الليل إلا أنّ قلب أمها لم يكن مرتاح، فطلبت من أخيها أن يذهب ويسأل عنها بالمستشفى.

وكانت المفاجأة التي أطاحت بعقولهم، وعاد وحيد للبيت ثائراً لا يعلم ماذا يقول لأمه، بعد أن علم أنّ أخته لا تذهب إلى العمل ومنقطعة عنه منذ فترة ولا يعلمون عنها شيئاً بالمستشفى، وعندما علمت أمه بهذا الخبر انتظرتها وثارت عليها عند عودتها لتعلم أين تذهب؟ ولماذا كذبت عليهم؟

وبكل هدوءٍ وخوفٍ مصطنع حاولت نوال إقناعهم بأنّ من خلال عملها بالمستشفى طلب منها أحد الأثرياء مراعاة زوجته المريضة بالمنزل، وأن تلازمها عند سفره حتى لا يتركها وحدها بهذه الحالة، وعرض عليها ضعف ما كانت تحصل عليه من العمل بالمستشفى، وهي وافقت على العرض وخافت أن تبلغهم حتى لا يعترضوا.

أخذت الأم تنهرها مستنكرة ما فعلته ابنتها وأمرتها بترك هذا العمل، ولكن نوال لم تستجب لأمرها، وأخذت تصرخ بألّا يتدخل أحد بحياتها أو أن يتحدث معها ويأمرها بفعل شيء أو يمنعها من أي شيء، مهددة بترك المنزل والذهاب لمكان لا يعلمه أحد منهم، فهمَّ أخوها بضربها، ولكن استوقفته أمه لعدم إثارة المشاكل والفضائح، مع الخوف من تنفيذ تهديد نوال لهما وتركها للبيت، واستسلم الجميع لما تفعله، فأصبحت تفعل كل ما تريده وما يحلو لها دون مراعاة أحد أو إخبارهما بما تفعله عندما تخرج من المنزل، فأصبحا لا يملكان إلا الدعاء لها بالهداية.
وقبل خروج سمر مع ابنتها، أخذت أم وحيد تحذرها من نوال وأوصتها بأنّه في حال حدوث شيء من ابنتها فعليها أن تتركها وتعود فوراً للبيت.

توقفت السيارة الأجرة التي حملتهما أمام ملهى ليلي بشارع الهرم وبعد نزولهما، اقتربت نوال من حارسي بوابة الملهى ضخمي الجثة مفتولي

العضلات وأخذت تضحك معهما، وقد اتضح لسمر أنّها تعرفهما معرفة وثيقة، وسمحا لها بالدخول فأشارت لسمر بالاقتراب.

_ نوال: هل حضر شريف بِك؟

_ الحارس: شريف بِك في مكتبه يا ست نوسة.

نظرت سمر في دهشة لنوال وأمسكت بذراعها:

_ هل سأعمل هنا؟ ومن نوسة هذه؟ ومن شريف بِك؟

_ أطلقت نوال ضحكة خليعة: شريف بِك هو صاحب الملهى، أما نوسة – ثمّ مالت على أذنها – فهي أنا يا حلوة اصبري وسوف تعلمين كل شيء.

****

الفصل الثالث

دخلت نوال ممسكة بيد سمر داخل الملهى التي ارتسمت على عينيها الذهول مما تراه أثناء عبورها وسط طاولات الملهى المكتظة بزجاجات الخمر، والأطعمة، والضحكات، ورقص رواده، حتى وصلتا إلى باب أحد المكاتب والتي سارعت نوال بفتحه ساحبة سمر خلفها.

أخذت سمر تتفقد المكتب بعين زائغة منبهرة وهي متشبثة كالطفلة بيد نوال التي طلبت منها الجلوس على أريكة كبيرة للحظات لحين عودتها لها ولم تنتظر الرد من سمر أو الاعتراض منها على تركها وحدها، ثمّ أسرعت بالخروج.

ظلت سمر تنظر حولها في كل أرجاء المكتبِ الفخم ذي الأثاث الراقي، وعلى الجانب الآخر منه قبع بار للمشروبات الفخمة والمليء بمختلف زجاجات الخمور ذات الماركات الفخمة وإذا بها تلمح نافذة صغيرة بأحد جوانب الغرفة، لكن ما أثار دهشتها أنه لم يكن الجانب المطل على الشارع.

توجهت سمر إلى النافذة فإذا بها تطل على قاعة الملهى وفهمت أنّ الهدف منها مراقبة ما يجري بصالة الملهى وتذكرت فيلم الرجل الثاني، فأخذت تضحك وهي تنظر منه لترى ما يحدث لكن توقفت عيناها عند مشهدٍ

أثار دهشتها فعلى إحدى الطاولات، جلست نوال مع بعض الرجال ومداعبتها لهم ببعض الكلمات والشرب معهم والغريب أنها قد أبدلت ملابسها بأخرى مثيرة، ظلت سمر تراقبها لأكثر من خمس دقائق دون أن تستوعب ما تراه، فكيف تكون نوال هي أخت وحيد الشاب الخلوق الطيب والسيدة الفاضلة التي لا تترك سجادة الصلاة.

وفجأة فتح الباب ودخل منه رجل طويل القامة ذو شعر كستنائي طويل بعض الشيء وبدا لها عربياً لا مصرياً، وخمنت أنّ جنسيته هي اللبنانية أو السورية وفوجئ الرجل بوجود سمر بالغرفة فتقدم منها سائلاً:

_ الرجل: من أنتِ؟ وكيف دخلتِ إلى مكتبي؟

ارتبكت سمر وتلعثمت الكلمات بفمها فلم تستطع الرد.

ولكن جاء صوت من خلفهم: جاءت معي يا عزيزي.

_ التفت الرجل لمصدر الصوت: يا هلا وغلا يا نوسة أين كنتِ يا شحرورة الملهى؟

أخذت نوال تضحك وبصوت عالٍ خليع: تحت النظر يا عزيزي (ثم اقتربت منه مقبلة إياه) جئت لك بمفاجأة أستحق عليها مكافأة كبيرة يا شريف بِك.

ثمّ نظرت إلى سمر التي أخذت تبتلع ريقها بشكل متعثر وبدأ الخجل يصبغ وجنتيّها بالاحمرار، فنهض شريف من مكانه وأخذ يدور حول سمر معايناً إياها.

_ شريف: سبحان ما خلق وصوّر ما هذا الجمال!

خجلت سمر أكثر وأكثر وأخذت تشير إلى نوال مستفسرة عن الوضع الغريب هذا!

_ نوال (ضاحكة): بهدوء يا شريف بِك على الفتاة فهي خام جديدة.

إلا أنّ شريف بدا أنه قد فقد السيطرة على نفسه فمد يده يتلمس جسد سمر التي فزعت منه، فقفزت من مكانها مبتعدة عنه وقبل أن تنطق بأي كلمة اعتراض...

_ شريف: رائعة! لقد تم تعيينها، ستعمل معنا.

تمكن الارتباك والدهشة من سمر تماماً.

_ سمر: نوال ما الأمر ماذا سأعمل وأين؟

_ اقتربت نوال منها تحتضنها: لقد دعت لكِ أمك، ستعملين في أكبر ملهى ليلي بالقاهرة محظوظة أنتِ، لقد وافق عليكِ شريف بِك وهو لا يقبل أي فتاة كي تعمل عنده بملهاه بهذه السهولة.

ارتسمت علامات الدهشة على وجه سمر أكثر، فأكثر، فلقد توقعت أنّ نوال ستلحقها بالعمل بأحد المحال كبائعة أو كممرضة مثلها كما كانت تزعم فوجدت نفسها تصرخ.

_ سمر: لا... لا... لا يمكن!

_ اقتربت نوال منها: ستربحين الكثير بالعمل هنا وستجنين الكثير من الأموال التي لن تتخيلي يوماً أن تحصلي عليها.

هبّت سمر بالاعتراض إلا أنّ شريف اقترب منها وعلى وجهه ابتسامة هادئة، فأمسك يدها وأجلسها بجواره.

_ شريف: قولي لي يا سمر ما هو المبلغ الذي تحلمين أن تناليه في أي عمل آخر؟

نظرت سمر إليه لا تدري بما تجيبه.

_ شريف مكملاً: سأجيب أنا عنك بما ستحصلين عليه هنا.. ستقيمين بقصر... سيكون لك خدم.. ستنالين ثروة من المال لن تتوقعيها في أفضل أحلامك.. ثوانٍ وسأعود.

توجه شريف إلى أحد أدراج مكتبه فاتحاً إياه مخرجاً منه علبة قطيفة حمراء، ثمّ عاد مرة أخرى إلى جوار سمر وقبل أن يفتح العلبة أخرج رزمة من النقود من جيبه لا تقل عن خمسة آلاف من الجنيهات، ثمّ مد يده بها إلى نوال.

_ شريف: مكافأتك يا نوال عن إحضارك هذا الملاك الجميل إلى هنا.

اختطفت نوال النقود من يد شريف، وسط ذهول سمر مما يحدث وهي ترى هذه الرزمة التي لم تحلم يوماً أن تراها حتى أو تتحصل على ربعها!

_ شريف: تفضلي يا نوال بالخارج ودعيني معها، بعد خروجها التفت إلى سمر.

_شريف: تخيلي أن هذه النقود هي مكافأة لمن أحضرتك فما بالك بكِ أنتِ.

وقبل أن تجيب فتح شريف العلبة مخرجاً منها عقداً ماسياً وألبسه لسمر التي أصيبت بالخرس التام.

_ شريف: هذا العقد هديتي لك، واعلمي أنك في حال وافقتِ سيكون وراءك الكثير من شراء ملابس وتعليم.

_ سمر مندهشة: تعليم.

_ شريف: فن الإتيكيت.. في التعامل والتحدث سأقوم بتحويلك إلى سيدة شديدة الأناقة، سأغيرك تماماً، ستسافرين إلى بلاد الدنيا، وسترتدين أفخم الثياب، وأخذ يعدد لها ما ستعيشه من بذخ وترف.

سهمت سمر وبدأت تتخيل كل ما يرويه لها شريف ورأت نفسها تعيش حياة حلمت بها، وشعرت أنّ ما يقدمه لها شريف هو العوض الذي كانت تتمناه عن أيام حياتها السوداء التي عاشتها، وأنها لو رفضته فإنّها ستظل

تعاني طول حياتها وأنّها أمام فرصة كبيرة لا تأتي في العمر سوى مرة واحدة وأنّ هذه فرصتها التي لن تعوض ولن تأتي مرة أخرى.

وفجأة ظهرت صورة وحيد

_ سمر لنفسها: وماذا عنك؟ أعلم أنّك تحبني وأني قد لا أجد من يحبني لذاتي مثلك، أنت يا من لم تسألني عن أي شيء وأحببتني على حالي هذا، سامحني يا وحيد أنا لن أستطيع أن أتزوجك، لقد تعبت وهذه الفرصة لن تعوض، أعلم أني لن أجد مثلك، لكنّك ستجد من هي أفضل مني، فأنا لا أليق بك ولا بأمك، وبعيداً عن ذلك فأنا قاتلة هاربة، ومؤكد سيأتي يوم تتكشف فيه كل الحقائق، وعندها لن أستطيع أن أنظر في وجهك.. ابتعادي عنك لصالحك أنت لا تستحقني.

ثمّ رفعت سمر رأسها ناظرة لشريف وبكل عزم وسرعة في الإلقاء كأنها هاربة من شيء: لقد وافقت.

استدعى شريف نوال عبر المحمول مخبراً إياها بموافقة سمر، لترتسم ابتسامة شريرة على وجه نوال وهي تقترب من سمر

_ نوال: لقد انتهت مهمتي وانتهت فترة وجودك ببيتنا.

وأخذت تبتسم ابتسامات خبيثة.

_ سمر: وماذا ستقولين لوحيد ووالدتك؟

_ نوال (بخبث): سوف أقول لهم أنك قابلتِ إحدى قريباتك بالمصادفة، وذهبتِ معها، ولا أعرف هل ستعودين مرة أخرى أم لا!

_ شريف مخرجاً رزمة جديدة من النقود: نوال هذه النقود أيضاً لكِ لا أريد لأحد ممن عاشت معهم أن يعلم أنها هنا.

_ وبضحكة رقيعة أجابته: لا تقلق يا شريف بِك.

ثمّ استدارت خارجة.

جلست سمر مع شريف يوضح لها طبيعة العمل بالمكان وأخذ يشرح لها ما تقوم به الفتيات بالملهى ما بين رقص وإغراء الرجال الأغنياء واستغلال إعجابهم بها لدفع الكثير من المال مقابل جلوسها معهم، وفتح الكثير من زجاجات الخمر لها.

_ شريف: ستجلسين هنا تراقبين ما يحدث حتى تنتهي الليلة وبعدها سأصحبك إلى منزلك الجديد.

مع شروق فجر جديد، خرجت سمر بصحبة شريف لتركب معه سيارته الفارهة التي أصابتها بالكثير من الإعجاب، وهي التي كانت ترى مثلها دائماً في الشوارع أثناء تسولها، والآن ها هي تركبها.

ركبت سمر السيارة وهي لا تصدق ما تراه من كل هذه الرفاهية.

_ شريف مبتسم وقد فهم ما هي به: لا أريد أن تظلي هكذا أنتِ لم تري شيئاً بعد.

_ سمر مشدوهة: حقاً!

أومأ شريف لها برأسه وانطلق بالسيارة.

وبعد دقائق، أراحت سمر رأسها على مقعدها وأغلقت عينيها وتنهدت: يبدو أنّ الدنيا قد ضحكت لي، وأني أخيراً سأعيش بشكل مختلف وأني مقبلة على حياة جديدة جميلة، خلاف تلك التي عشتها من قبل، أعلم طبيعة المطلوب مني لكن هذا أنسب مكان أختبئ به، والأفضل في المعيشة وفي المال الذي ستحصل عليه.

_ التفت شريف إليها: سماهر.

ثمّ كرر الاسم

_ سمر: ماذا؟

_ شريف: سيكون اسمك سماهر بدلاً من سمر ما رأيك؟

لثوانٍ أخذت سمر تفكر في ذلك الاسم حتى وجدت فيه ضالتها فبذلك ستختفي سمر تماماً عن الوجود، ولن يعثر عليها أحد وأولهم الشرطة.

ومن هنا بدأت حياة سماهر التي اختبأت خلفها سمر.

عادت نوال للمنزل بدون سمر فتملك القلق من وحيد وأمه فأخذوا يسألون عنها.

_ فأجابتهم ضاحكة: الحمامة طارت.

_ وحيد: هلّا وضحتِ؟

_ نوال: كما قلت لك، أخذها الغراب وطار.

تملك الغضب من وحيد وهمّ بضربها حتى تقر بمكان سمر، فحكت له ما اتفقت عليه مع سمر فأصيب بالحزن، وأخذ يسب أخته ويصفها بالشيطان.

أسرعت الأم تهدئ من غضبه.

_ الأم: هي ليست صغيرة يا بني، وأكيد اختارت لنفسها الطريق والمكان الأنسب لها، لا تحزن ليس لك نصيب فيها.

_ نظر لها وحيد وعيناه تملؤهما الدموع وبصوت مختنق: ونعم بالله يا أمي، ولكن قلبي غير مطمئن لذهابها فجأة دون الحديث معنا أو السلام علينا قبل رحيلها، أتمنى أن تكون بخير ولا يصيبها مكروه.

قالها وقد امتلأ قلبه الذي أحبها بالقلق عليها من الدنيا وما فيها واستسلم لأمر وإرادة الله، لكن ما كان يحزنه أكثر أنها ذهبت دون أن تعلم أنه كان يريد الارتباط بها، أو بمكنون مشاعره لها ورغبته في الزواج منها.

الفصل الرابع

أكثر من ستة أشهر مرت على دخول سماهر عالم الليل ومن يراها اليوم لن يصدق أنها هي نفس تلك الفتاة الفقيرة الخائفة، فها هي ترتدي ثوباً أسودَ شبه فاضح مرصعاً بفصوصٍ ذات بريق، ضحكاتها تملأ المكان، العيون تتابعها أينما ذهبت من رجال مشدوهة تتمنى جلوسها معهم، ومن سيدات اجتمعن على الغيرة منها.

فعل شريف معها كل ما قاله لها، وحولها إلى واحدة من أجمل نساء الملهى، إن لم تكن أجملهن فعلاً، بل وتفوقهن بمراحل، وبالإضافة إلى كل مقوماتها؛ فإنّ من يراها الآن لن يصدق أنها بدأت عملها داخل هذا الملهى منذ أشهر قليلة فقط، فلقد أظهرت تمرساً كبيراً، واستطاعت أن تتفوق على زميلاتها حتى باتت كل الرجال تأتي من أجل أن تجالسها وتشرب معها بعد أن ذاع صيتها.

وذات يوم وأثناء جلوسه بمكتبه مع أحد رواد ملهاة وإحدى فتيات الملهى، تلقى شريف اتصالاً من حارس الأمن.

_ الحارس: فواز بِك الأحمدي وصل.

مع سماعه الاسم هبّ شريف من مكانه واقفاً: مَن؟

كرر الحارس قوله مرة أخرى.
شريف مشيراً إلى الفتاة وهو يهرول خارجاً: أغلقي المكتب خلفك وسألحق بكما في الصالة، ثمّ انطلق نحو باب الملهي الداخلي لاستقبال فواز هذا.

نظر الرجل إلى الفتاة متعجباً من فواز هذا الذي فعل بشريف كل ذلك!
الفتاة وهي تسحبه خارج مكتب شريف، (فواز الأحمدي) من أكبر رجال الأعمال بدولة الإمارات ويتردد من فترة لأخرى على الملهى يجالس الفتيات ويختار من بينهن واحدة لتقضي وقتاً معه فترة مكوثه بمصر، ولا تعد إلى الملهى مرة أخرى دون سبب معلوم.

_ الرجل مندهشاً: لماذا؟
_ الفتاة: يقال إنّه يدفع لهن ما يغنيهم عن العمل مرة أخرى.
_ الحارس: وماذا عن شريف؟
_ الفتاة ضاحكة: تخيل ما يدفعه فواز له في سهراته، ثمّ ثمن تلك الفتاة التي لن تعود.
- الرجل مغمغماً: تجار رقيق.

انقلبت قاعة الملهى مع دخول فواز، فالجميع يتسابق لخدمته وتجمعت حوله الفتيات، وأثناء جلوسه وقعت عينه على سماهر أثناء تجاذبها الحديث مع شابٍ من رواد الملهى، فجذبته ضحكتها وجمالها للغاية، ولعدة أيام

متتالية داوم على المجيء من أجلها ومراقبتها دون أن يطلبها وما أثار تساؤله أنّها هي أيضاً لم تحاول حتى أن تقترب منه.

وذات يوم طلب من شريف إحضارها على طاولته وما إن جلست..

_ فواز: هل تعرفينني؟

_ سماهر: طبعاً.

_ فواز: غريب ومع ذلك لم تأتي للجلوس معي كزميلاتك!

_ سماهر: وما الغريب في ذلك؟ أصابعك ليست مثل بعضها.

_ فواز: ما رأيك أن تقضي معي ليلتين وسأدفع لك كل ما تريدينه؟

هبت سماهر واقفة وقد ارتسمت علامات الغضب على وجهها:

_ أنا لست مثل الباقيات، عملي ينتهي على طاولتك فقط لا أكثر.

ثمّ التفتت لتبتعد إلا أنه مد يده ممسكاً بذراعها.

_ فواز: انتظري.

_ سماهر: دعني.

فواز جاذباً إياه حتى كادت جبهتاهما أن تتلامسا: هل تتزوجينني؟

كأنّ صاعقة نزلت على رأسها واعترتها الدهشة، فهي لم تتوقع يوماً أنّ رجلاً مثل هذا قد يطلب منها الزواج، وقبل أن تفكر في الرد بادرها (فواز) بكلماته: لكن سيكون زواجاً عرفياً

فنظرت له وانحبست بداخلها أنفاسها.

فواز مكملاً: من أجل ألّا تعلم زوجتي أم العيال، فقد اشتهيتك زوجة لي ولكن سراً أو لنقل في مصر.

في بداية الأمر رفضت سماهر واعترضت وتمنعت خاصة وهي ترى إلحاح وضغط شريف عليها الذي هدد بطردها من أجل ألّا يغضب فواز الذي سوف يعود على (شريف) بالكثير من المال عليه وعليها، كما أنّ بموافقتها يضمن عدم إثارة المشاكل لنفسه وللمكان

في الأخير وافقت سماهر على طلب فواز فهو كان بالنسبة لها حلاً أفضل من وجودها كل يوم وسط عيون وطمع الرجال فيها لتقوم بتوقيع ورقة جديدة مهدت الطريق لإعدامها للمرة الثانية... ورقة (زواجها العرفي)

تركت سماهر الكازينو وعملها ونقلت إقامتها لمنزل الزوجية الذي أعده لها (فواز الأحمدي) في ذلك القصر الفخم الذي يمتلكه بإحدى المناطق الراقية التي لم تحلم به يوماً في أجمل أحلامها.

مع دخولها من بابه الكبير لم تصدق ما تشاهده من فخامة الأثاث والديكور مع صعودها إلى الدور العلوي وجدت به الكثير من الغرف، لكن أشدّ ما أدهشها وجود الكثير من النساء وسرعان ما تحولت دهشتها إلى قلق وتوتر، وقبل أن تسأل عن أي شيء اقترب منها فواز.

_ فواز: هذه غرفتك الخاصة كل ما تحتاجينه ستجدينه بها _وأشار إلى جرس – إذا أردتِ شيئاً اضربي هذا الجرس وسوف يأتي لك الخدم فوراً.
ثمّ تركها وأغلق الباب خلفه، فتعجبت سماهر وأخذت تنظر حولها وهي تبتسم، فالمكان فخم جداً وتجاهلت كل ما أثار دهشتها وغرابة كل ما رأته.

مكثت هذه الليلة في راحة وهدوء ونوم عميق مستمتعة بالمكان والمنظر الخلاب من شرفتها التي كانت تطل على حديقة جميلة تملؤها الزهور والطيور والفراشات، وجمال العطر الذي يفوح منها وتوسطها حمام سباحة ذو طراز راقٍ في تصميمه. كان كل ما تراه بالنسبة لها حلماً وحياة ولا في الأفلام.

نامت سماهر كما لم تنم من قبل فوق ذلك السرير الناعم لكن وكأنّها مكتوب عليها ألا تكتمل راحتها، فلقد استيقظت على صراخ إحدى الفتيات (تستغيث وتبكي) فهبّت من نومها فزعة مرعوبة وقد انقبض قلبها، وأسرعت نحو باب غرفتها كي تخرج منها لترى ما يحدث بالخارج إلا أنّ أحد الحراس استوقفها.
_ الحارس: ممنوع الخروج من غرفتك، أغلقي الباب.

استمرت الصرخات ومعها أخذ جسد سماهر في الانتفاض من صداها والتي بدت لها وكأنّ شخصاً ما يقوم بتعذيب تلك الصارخة التي تستغيث دون أن تجد من ينقذها.

تكررت الصرخات كل ليلة والتهم القلق والرعب كل خلايا سماهر الحبيسة في غرفتها دون أن تعلم السر والغموض خلف هذه الأبواب، ولا مصدر هذه الأصوات المتكررة كل ليلة دون أن تجد من يشفي غليلها ويفهمها ماذا يحدث

لكن ما كان يقلقها أكثر هو اختفاء فواز مُذ أحضرها إلى هذا المنزل الغريب والعجيب والذي أصبح لغزاً كبيراً بالنسبة لها.

أخيراً بعد عدة أيام، وصل فواز لتستقبله بالعديد من الاستفسارات عن تغيبه، فأجابها بعدة جمل مقتضبة بأنّه اضطر للسفر إلى بلده لأمر عاجل يخص عمله، وقبل أن تسأله عن تلك الصرخات الليلية إذا به يفاجئها بعلبة قطيفة رفيعة.

_ فواز: أرجو أن تعجبك.

فتحت سماهر العلبة فإذا بها سلسلة ذهبية... وقبل أن تشكره فوجئت به يلتصق بها، وأخذ يشم جسدها دون أن يلمسها وكأنّه كلب يتدرب على حاسة الشم للتعرف على فريسته أو هدفه، تملكت منها الدهشة وهي تراه وقد سال لعابه عليها وأخذ في لحس أجزاء جسدها لتصاب بالاشمئزاز منه

لما يفعله، وعندما حاولت الحديث معه لمعرفة ما الذي يفعله معها من أفعال مقززة، إذا به يسكتها ويغلق فمها بقطعة من القماش حتى ينتهي والغريب أنه لم يفعل شيئاً آخر، إذ هبّ خارجاً تاركاً إياها بمفردها دون أن تستوعب ما يريده منها ويفعله بها، حتى أنها نسيت أن تسأله عما يحدث كل ليلة من صراخ وتأوهات النساء اللاتي حولها بالغرف المجاورة لها.

ولعدة أيام جديدة تكرر هذا الوضع والأسلوب، وبات الفضول صديقاً لها، وقد بدأ في نهش خلاياها مطالباً إياها بإيجاد حلٍ لهذه الألغاز وإجابات عن كل ما يدور بذهنها تجاه كل ما يحدث لها أو تسمعه، إلا أنّ فواز كان يتهرب من الإجابة ويتركها لحريتها.

وذات ليلة قررت أن تنظر من فتحة مفتاح غرفتها عندما سمعت صوت أقدام تتجه للغرفة المقابلة لها، فإذا بها تجد فواز بصحبة رجل غريب ضخم وانباتها ملابسه أنه ليس من حراس المكان، لكن ما أفزعها هو ما كان يمسكه في يده لقد كان سوطاً من الجلد المجدول الذي يستخدمونه في التعذيب أو لحث الحيوانات على الحركة.

ارتدت سماهر إلى الخلف فزعة، وأصدرت شهقة مكتومة أسرعت بوضع يدها على فمها تحاول وأدها وكتمانها بداخلها حتى لا يشعر بها أحد ممن بالخارج، وما إن استعادت رباط جأشها حتى عاودت النظر مرة أخرى

لتجد فواز يربت على كتف الرجل الذي يناوله رزمة من المال ضاحكاً، ثمّ دخلا الغرفة المقابلة وأغلقا الباب عليهما.

هبت سماهر واقفة وقد ألصقت أذنيها بالباب تحاول سماع ما يحدث حتى وصل لسمعها بعض الضحكات العالية والكلمات المثيرة من إحدى السيدات مصحوبة بتأوهات، فاستقامت واقفة تدير ظهرها متعجبة عما يحدث فكيف تجتمع الضحكات في وجود ذلك السوط، ثمّ سمعت باب الغرفة يفتح فمالت بجذعها مرة أخرى ناظرة من فتحة مفتاح الباب، فإذا بفواز يقف أمام تلك الغرفة يتحدث إلى حارسه، ثمّ استدارا مبتعدين.

وبعد خمس دقائق جاءها الرد في صورة صراخ الفتاة ممزوج بلفحات السوط على جسدها وصوت الرجل ثائر مع ضربات السوط الذي تقشعر له الأبدان.
فزعت سماهر من هول ما سمعته ومدت يدها لتفتح الباب والخروج لإنقاذ الفتاة، ولكن هذه المرة لم يمنعها الحارس من الخروج، بل وجدت فواز يقف أمامها ضاحكاً بخبث الذئاب.

_ فواز: كنت أنتظر خروجك عندما شعرت بمراقبتك لنا من خلف الباب.
جحظت عينا سمر وفتحت فمها بلا وعي منها عما حدث لا تجد كلمات تخرج منها لتبرر له موقفها، إلا أنّها بدأت تشير بإصبعها اتجاه الباب الآخر

الذي يصدر منه الصوت فنظر فواز ضاحكاً بصوتٍ عالٍ مقهقهاً وهو يدفع سماهر داخل غرفتها مرة أخرى، ثمّ أغلق الباب.

_ فواز: تعجلتِ على موعدك لكن أنتِ من اختار.
وقبل أن تخرج سماهر أي كلمة للرد انقض عليها فواز كالأسد الجائع الذي أراد التهام فريسته دون إعطاء لها أي فرصة للفرار أو الدفاع عن نفسها، وأخذ يغتصبها عدة مرات بأوضاع مختلفة دون رحمة أو الاستماع إلى صراخها أو توسلاتها.

ومر بخاطرها ما كان يحدث لها من أبيها ولكن هذه المرة كان أبشع وبأسلوب جعلها تنفر من صنف الرجال، فأبوها لم يكن في مثل عنف فواز ولا في فورته ولا تمرسه، بل ولم يكن واعياً لما يفعله.
بعد الانتهاء من اغتصابها بأبشع الطرق والوسائل غير الآدمية أسرعت إلى دورة المياه الخاصة بها، وأخذت تتقيأ وتخرج كل ما في جوفها.
غابت بعدها سماهر عن الوعي تاركة كل أوصالها مستسلمة على فراشها الملطخ برائحة فواز التي اعتادت عليها، بعد ذلك مع تكرار محاولته معها لأيام متتالية تاركاً إياها كل مرة بعد الإغماء.

وبعد شهرين، بدأت تظهر على سماهر مع مرور الوقت أعراض التعب والوهن على جسدها حتى اكتشفت أنّها حامل فأخفت الخبر وهي تندب حظها السيئ وتتذكر كيف أغراها المال لتلقي بنفسها إلى التهلكة طمعاً في حياة أفضل، ثمّ رجعت بذاكرتها إلى وحيد وأمه واكتشفت أنها أخطأت في حق نفسها فلقد كانت سعيدة معهم وتعيش بأمان دون أي انتهاك لآدميتها ثمّ انتقل بها شريط ذكرياتها إلى نوال التي كانت السبب في دخولها هذا المستنقع البشع، فأخذت تسبها بينها وبين نفسها باكية، تحدث نفسها ماذا تفعل فيما تحمله أحشاؤها ولا يعلم به أحد غيرها.

تلاطمت ذكرياتها وسط دموعها المنهمرة كالأمواج الثائرة وهي تقف وحيدة في شرفة غرفتها حتى جاءها صوت ناعم غير مفهوم من الشرفة المجاورة لها انتشلها من هذا الصراع الداخلي.

_ الصوت: اهدئي عزيزتي.. لا تبكي ولا تحزني.

التفت سماهر باحثة عن مصدر الصوت فإذا بفتاة رقيقة الملامح بدت لها أنها غير مصرية من لغتها التي كانت تتحدث بها وشكلها قريب الملامح لسيدات الدول الخليجية ذوات الشعر الكثيف الناعم بلونه الأسود كسواد الليل وعينيها الكحيلة الواسعة وبشرتها البيضاء.

فبدأ الأمل يدب في قلبها وروحها عندما سمعتها تقول لها هذه الكلمات وأكملت حديثها قائلة: هذا ما كتبه الله لنا فكوني أقوى من ذلك، ومدت يدها بشريط من الحبوب وأكملت خذي هذا
فنظرت لها سماهر بحيرةٍ واندهاشٍ من أمرها دون أن تنطق

_ الفتاة: لقد سمعت بكاءك وحديثك مع نفسك، وهذه حبوب لتتخلصي من هذا الجنين الذي مصيره الموت وليس له مكان بيننا في هذا البيت اللعين، فلو علم فواز بحملك مع علمه أنه لم يلمسك أحد غيره حتى الآن فلن يتركك تتخلصين منه حتى يحصل عليه، فإذا كانت فتاة سيقتلها وإذا كان صبياً فلن يتركه لكِ، لأن الله لم يرزقه بولد عقاباً لأفعاله، فكل خلفته من زوجاته الشرعيين بنات.

_ صمتت سماهر قليلاً ثمّ قالت: وماذا سيفعل بي إذا حملت في صبي؟
_ ضحكت الفتاة: يصحبك إلى غرفته لتكوني الملكة المتوجة حتى يأتي الصبي للدنيا.
_ سماهر: وماذا بعد؟
_ الفتاة: بعدها يأخذه ولن تريه مرة أخرى، ثمّ ستعودين إلى هذه الغرفة مرة أخرى وسيكون مصيرك كمصير كل الفتيات.
_ سماهر: كيف تعرفين كل هذه التفاصيل؟

خفضت الفتاة رأسها باكية بكل ما بداخلها من حسرة وألم، ثمّ رفعت رأسها ناظرة إليها: لأني تعرضت لهذا الموقف.

شهقت سماهر وهي تنظر لها في شفقة عليها من أمرها لا تصدق ما سمعته وبعد لحظات عادت إلى تكملة حوارهما.

_ سماهر: وهل أنجبتِ له الصبي؟

_ الفتاة: نعم لقد رزقني الله الولد ولكن عقاب الله كان أشد من أن يرزق هذا المجرم الذي لا يخافه ولا يأبه بنعمة من نعم الله عليه، فلقد مات ابني بعد ساعات من وجوده بالدنيا خارج رحمي، فأصبح فواز كالمجنون وأمر برجوعي مرة أخرى إلى هذه الغرفة ومعاودة إجرامه لي.

ثمّ مدت يدها لها بشريط حبوب آخر

_ الفتاة: وهذه حبوب منع الحمل، أنصحك بأخذها بعد التخلص من الجنين حتى لا يتكرر الحمل مرة أخرى.

ولكن سماهر أخذت تفكر فيما سمعته من هذه الفتاة وإذا بها تعيد إليها شريط الحبوب وهي تنظر إليها ضاحكة.

_ سماهر: بالعكس أنا لن أتخلص من هذه الفرصة التي أتت لي على طبق من ذهب، وأخذت تضحك كأنها ربحت جائزة اليانصيب.

_ الفتاة: كيف؟ وماذا ستفعلين؟

_ سماهر: سترين، ولكن أحكي لي من أنتِ؟ وكيف وصلتِ إلى هنا؟ ثمّ احكي لي تفاصيل ما حدث لك بعد حملك، وصِفي لي غرفة فواز ومكانها فهذه هي فرصتي وفرصتكم جميعاً في التحرر من هذه اللعنة وهذا السجن، فبدأ الاستغراب والدهشة على وجه الفتاة، ولكن سماهر قاطعت كل هذه الحيرة والتساؤلات التي كست ملامحها، وقالت: سوف أشرح لكِ كل شيء بعدما تروي لي ما طلبته منكِ، فأومأت برأسها مستجيبة لما طلبته منها وأخذت تروي لها.

****

الفصل الخامس

أخذت الفتاة نفساً عميقاً لتتأهب لرواية تفاصيل ما حدث لها من مأساة قائلة: اسمي (نجوى حيدر) خريجة كلية التجارة جامعة عجمان بدولة الإمارات، من أسرة بسيطة جداً، عاش الفقر معنا كفردٍ من أفراد أسرتي، وبالرغم من ذلك أصرت عائلتي المكونة من أبٍ وأمٍ وأخٍ وأختٍ يصغراني بالعمر. عليّ تكملة دراستي من أجل أن أصبح فتاة جامعية لها مكانتها، وأحقق حلمهم والحصول على شهادة عُليا للعمل بمكان محترم وكبير كي أساعدهم في المعيشة.

تحملت أسرتي الكثير من المعاناة لإكمال المراحل الدراسية بالجامعة، وقد وفقني الله وانتهت سنوات الدراسة وجاء يوم التخرج، وتم إقامة حفل جامعي كبير للاحتفال بدفعة التخرج بالجامعة، وأثناء الاحتفال حضر (فواز) رجل الأعمال الخيري الشهير وكان ضيف شرف الحفل الجامعي.
وقام بتسليم شهادات التخرج لجميع الطلاب، فوقع بصره عليّ وأعجب بي، ومنذ هذه الليلة أصبح يلاحقني بكل مكان حتى استطاع الوصول إلى أسرتي بالشارقة، وتكررت زياراته بالهدايا وإغرائي وأغرى أسرتي بالمال

وعرض عليّ في بداية الأمر العمل معه بإحدى شركاته، فسعدت بهذا الخبر وفرح أبي شاكراً إياه على اهتمامه ومساعدته لنا.

والتحقت بشركة الشيطان الذي أبهرني بمكانته واحترام الآخرين له، وأثناء فترة عملي القصيرة معه وجدت الجميع يتحدث عن أخلاقه وكرمه وأنه رجلٌ صالح لا يغضب الله ولا ينظر بحرمانية لأي فتاة بالعمل، ويتقي الله في جميع أفعاله، فأعجبت به بل لا أنكر أنني أحببته في بداية الأمر رغم أنه يكبرني بسنوات كثيرة، ووجدت به ضالتي والعوض من الحرمان الذي كنت أعيشه أنا وأسرتي.

ثم جاء اليوم الذي فجاني به، وحضر لمنزلي المتواضع لطلب الزواج مني والسفر معه إلى مصر بحجة تجارته وشركاته التي مقرها هناك، وفرح أبي وأمي بهذا الخبر السعيد والذي سيعود على الجميع بالنفع والخير الوفير، ووافقت بكل سعادة وفرح لتحقيق حلم حياتي، وتهللت أسارير أسرتي بعدما تركَ لهم مبلغاً كبيراً كمهرٍ، وتمت الزيجة وجئت إلى هذا المكان.

في بداية الأمر انبهرت بكل شيء إذ كان يعاملني بلطف وسخاء وعشت سعيدة لمدة أسبوعين، وبعد تلك المدة القصيرة وجدت منه تصرفات غريبة وشاذة أثناء علاقتي معه، وعند اعتراضي على مجاراته أخذ يضربني بكل قسوة ويرغمني على ما يريده مني، وأخذ يهددني بحبس أبي وأخي الصغير واتهامه لهم بسرقته، فخفت.

وإلى يومنا هذا وأنا لا أعلم عن أهلي شيئاً ولا هم يعلمون عني شيئاً، وظللت على هذه الحال والوضع شهراً كاملاً، وفي يوم من الأيام كان عنيفاً جداً معي، فلم أستطع تحمله وأغمي عليّ، وعندما استعدت وعيي وجدت فواز بجانبي ومعه طبيب اسمه شاكر.

يقول له إني حامل ويجب مراعاة حالتي الصحية لأني ضعيفة جداً.

اصطحبه فواز خارج الغرفة وهو يقول له بصوت خفيض:

_ متى أعلم نوع الجنين؟

_ شاكر ضاحكاً: لا تتعجل كلها شهور قليلة وسوف يتضح كل شيء بالأشعة.

_ فواز: تمام ولكن إذا كان الجنين بنتاً سوف تتخلص من هذا الحمل بسرعة.

_ الدكتور عاقداً حاجبيه: ماذا تقول؟

_ فواز: كما سمعت فأنا لا أريد إنجاب البنات.

_ الدكتور: لماذا؟

_ فواز ضاحكاً: لأنّ عندي الكثير منهن من الأخريات التي على ذمتي هناك بالإمارات.

ثمّ أطلق ضحكة خبيثة ليس بها أي شفقة

فعلمت أنه متزوج من غيري ولديه الكثير من البنات.

_ الطبيب: تمام، فهمت ما تريده.

وتركه متمنياً له أن يكون ولداً هذه المرة.

وهنا علمت أنّ فواز يشتاق لإنجاب صبي له، وأنه لا يتورع وبلا رحمة أن يقتل أية بنت له برحم أمها قبل حتى أن تأتي لنور الحياة.

وبدأت شهور الحمل تمر كثقل الجبال عليّ وعلى فواز، حتى جاء الشهر الرابع ودخل غرفتي وبجوزته جهاز أشعة الفحص بالموجات الصوتية ذات البعد الرباعي (السونار) وعندما تأكد الطبيب بالفحص أنه ولد أخذت الفرحة تتراقص من حول فواز الذي تحول إلى شخص آخر تماماً، فلانت ملامحه، ولأول مرة أراه مبتسماً وبحنان لم أعهده فيه!

فواز بحنان لم أره من قبل: إياكِ أن تتحركي- ثم التفت خارجاً ليعود ممسكاً في يده بسيدة ذات أصول آسيوية – ما عليك سوى أن تأمريها وهي ستوفر لك كل طلباتك حتى تتم الولادة.

وأصبح يدللني كأنّني ملكة متوجة، كما كان يتجنب معاشرتي بعنف خوفاً على الطفل، وعندما يشعر أنه سيفقد السيطرة على نفسه يتركني ويرحل على الفور.

ومرت الشهور كالدهر الذي ليس له نهاية وفي منتصف الشهر الثامن فجأة اشتد الألم عليّ وتمكن مني رغم الراحة التامة التي كنت أحظى بها وانطلقت صرخاتي أستغيث فأسرعوا بإحضار الطبيب الذي أبلغه أن

الطفل حجمه ضعيف وأني سأله الآن وأن العملية ستكون صعبة وخطيرة وسمعت جملة أصابتني في مقتل.

_ فواز: شاكر أريد هذا الولد بأي طريقة حتى ولو ماتت أمه، الطفل يا شاكر أسمعت هو الأولى.

وقف فواز خارج الغرفة ينتظر وليده الوحيد وكاد يطير من الفرح عند سماع صوت صرخاته معلناً خروجه للدنيا، ولكن فرحته لم تكتمل عندما عرف من الطبيب أن الطفل وزنه ضعيف وحالته خطرة لعدم اكتمال الرئة، وقبل أن يستدعي فريق طبي كامل لإنقاذ الولد ونقله إلى أكبر مستشفى خارج البلد للعلاج توفي الولد، وظل فواز يصرخ بشكل جنوني ويكسر كل ما يصادفه أمامه في تلك الليلة.

صمتت نجوى وهي تبكي متذكرة ابنها بين يديها وهو مفارق للحياة بلا حركة أو نفس، ثم أخذت تشكر الله أنه رحم ابنها برحيله عن هذا العالم الدنس ومن أن يكون له أب مثل هذا القواد الذي يتاجر بالنساء من أجل المال.

تألمت سماهر لكلامها وما أصابها بسبب هذا المجرم وحاولت التخفيف عنها ولكن لم تجد من الكلمات ما تواسيها بها، وأخذت تتمتم بكلمات سب له ولسوء تربيته التي جعلت منه هذا الوحش المفترس عديم الرحمة.

_ فردت عليها نجوى: هذا ليس من سوء تربيته فهو من طبقة محترمة متدينة فاعلة للخير.

_ سماهر: ولماذا يفعل هذه الأفعال بالفتيات؟

_ الفتاة: علمت بالمصادفة أنّ والدته تركته وهربت مع شخص آخر تحبه فحاولت أن أعرف التفاصيل منه عندما استيقظ فثار غضبه وكاد يقتلني لولا حملي الذي أنقذني.

_ استغربت سماهر وسألتها: وكيف علمتِ بذلك؟

_ نجوى ضاحكة: من كوابيسه أثناء نومه بجانبي إذ كان لا يفارقني حتى ألد له الوريث، ثمّ وذات يوم استدرجت طبيبي المعالج شاكر في الكلام، وعلمت منه حقيقة هروب والدته، ولماذا فعلت ذلك.

وعلمت أن والده كان شخصاً متزمتاً دينياً يكبر والدته بعشرين عاماً، أنجب فواز ولم يستطع الإنجاب بعدها وبدأت الخلافات بين أمه وأبيه وذات يوم صحا الجميع فوجدوها قد هربت مع رجل آخر من عمرها.

_ سماهر: إذاً فهذا سبب حزن لفواز وكسره.

_ نجوى: ليس هذا فحسب، فلم يتوقف الموضوع عند هذا الحد، إذ تزوّج أبوه وأتى له بزوجة قاسية كانت تسيء معاملته لأنّه وحيد أبيه، فكانت تضربه وتمنع عنه الطعام دون علم أبيه حتى كبر، والتحق بالجامعة وأحب ووثق في فتاة معه بالجامعة كانت بالنسبة له فتاة أحلامه وأقبل على الزواج

منها ومن شدة حبه لها كان يتخطى أفعالها الجريئة التي كانت تتظاهر أنها بدون قصد منها وفي ليلة الزواج وجدها غير عذراء وجنّ جنونه، ولكنّها أوهمته أنها حادثة أفقدتها عذريتها فصدقها حتى جاء يوم الصدمة التي أفقدته صوابه وانتزعت من داخله الرحمة، فعند عودته ذات يوم إلى منزله من السفر وجدها بأحضان أحد أصدقائه داخل غرفة النوم وعلى سريره فقتلهما الاثنين وأخفى معالم الجريمة، ولم يكتشفها أحد حتى الآن فكره جميع النساء.

ثمّ قابل بعد ذلك سيدة ثرية عجوز تكبره بأعوام ليست قليلة، فأغرته بالمال فوافق رغم فارق السن طمعاً في مالها وتمت الزيجة، واكتشف بعد زواجه أنها أعجبت به لصغر سنه وفتوته حتى تجبره على أفعال وأوضاع غير مقبولة معها أثناء المعاشرة والتي اعتاد عليها وقرر أن يظل معها حتى يسلبها أموالها مقابل الاستمرار معها في ممارستهما الوحشية أثناء علاقتهما وما إن استولى على أموالها حتى رمى بها بالشارع

وتزوج بعد فترة من أخرى، ولكن كانت خلفته كلها بنات، فأخذ يتزوج من العديدات لإنجاب الولد، ولكن عقاب الله كان يفوق كل التوقعات فزاد كرهه للنساء لكلّ ما مر به مع أمه وزوجة أبيه وزوجاته، ولهذا أصبح يتاجر بالفتيات من أجل المال والانتقام.

فأدركت أن كل ما وصل له من جرم في حق كل فتاة ما هو إلا انتقام داخله من جميع صنف النساء.

_ سماهر: وكيف نفد بكل هذه الجرائم من القانون؟

_ نجوى متنهدة: نفوذه وثراؤه الفاحش اشترى بهما كل فاسد له سلطة داخل وخارج البلد، فأصبح لديه حصانة ومعاملات دبلوماسية كرجل أعمال مشهور ومعروف على مستوى العالم العربي بخلاف ما كان يمسكه عليهم من تسجيلات صوتية ومرئية.

_ سماهر: لذلك يجب أن ننتقم منه ونحمي الأخريات من شره ولم يبقَ أمامنا غير الثلاث شهور الأولى من الحمل قبل أن يعرف ما نوع الجنين.

فانتبهت نجوى لكلامها في ذعر وخوف عارم من فكرة سماهر فبقدر ما كانت تتمنى قتله انتقاماً لكل ما اقترفه في حقها وحق كل بنات جنسها، إلا أنّها لم تجرؤ حتى على التفكير في هذه الفكرة خوفاً مما يحدث لها لو شعر فواز بذلك... ولوهلة ظلت تفكر فيما سمعته من سماهر، فإذا بها تهمس لنفسها بكلمتين ولما لا فالتفتت إلى سماهر سائلة

_ نجوى: كيف؟ كيف ستفعلينها؟

وجاءها الرد بابتسامة ماكرة.

الفصل السادس

شعرت سماهر بباب غرفتها يفتح وبسرعة أشارت لنجوى بالصمت وسرعة الدخول إلى غرفتها، ثمّ أغلقت زجاج الشرفة وانبعثت رائحة عطر فواز داخل غرفتها فلم تلتفت وتظاهرت بأنها لم تشعر به وأنها تحاول فتح الشباك لأنّها لا تستطيع التنفس، وكأنّها تختنق وما إن شعرت بوجوده خلفها حتى تظاهرت باختلال توازنها واستدارت لتتشبث به محتضنة إياه بقوة وهي تتلفظ باسمه مما زاد من إثارة فواز الذي تشتت عقله بهذه الحركة من الاستفسار عن وجودها بالقرب من النافذة أو عن ماذا كانت تفعل.

ولليالي عديدة جديدة، ظلت سماهر على هذا الحال كلما أتى إليها فواز تشعل نار الحب والعشق بداخله، فلم يكن من السهل إيقاع فواز بهذه السهولة، فلقد كان هدفها التمكن من مشاعره لدرجة التملك، فلعبت معه لعبة القط والفأر، فكانت تشوقه لها ثم تهرب منه ولا تجعله يتمكن منها أو لمسها وتختبئ منه بالحمام وتغلق على نفسها، فيزداد شوقه لها ممزوجاً بالغضب من رفضها الاقتراب منها بعد إثارته.

ثمّ تعود له في يوم آخر وتهيّئ نفسها وتشعل الغرفة بجو مثير من خلال رقصها ولبسها الشفاف شبه العاري، فيجنّ جنونه ولا يتمكن من تمالك أعصابه أمام مفاتنها.

وفي يوم آخر تلعب معه لعبة الأم وطفلها فتهدهده وتلاعبه وتطعمه بيدها وكانت تلك اللعبة هي ما جعلته يواظب على الحضور إليها كل يوم بعدما وجد حنان الأم الذي افتقده طوال عمره.

وبالنهاية فازت سماهر وتمكنت من أن تكسب حبّه وانجذابه لها، وجاءت لحظة تنفيذ خطتها التي نسجتها خيوط الانتقام، وأثناء احتضانه لها، فجأة تظاهرت بالإغماء واستنفرت كل حواس فواز، وقد خارت قواه بين يديها ولأول مرة يشعر بإحساس غريزي غريب يتملك منه، ولكن هذه المرة لم يكن شهوته أو غريزته كانت نبضات قلبه التي تسارعت بداخله وتدفق الدم لأوصاله التي بدأت تشتعل من سخونة بدنه، فأخذ يضم سماهر بقوة لصدره محتضناً إياها قلقاً عليها خائفاً لا يدري ماذا يفعل حين أخذ ينادي عليها وهي لا تجيبه.

أمعنت سماهر في إغمائها وتركت جسدها ينساب بين أحضانه فحملها فواز واضعاً إياها على الفراش ولأول مرة أخذ ينظر لملامحها بتمعنٍ أكثر، وأخذت يده تتحسس خصلات شعرها ووجهها وشفاها.

ومن مرقدها شعرت بأنّ غريزة فواز، قد تمكنت منه فقررت أن تشعلها أكثر وأكثر، فبدأت تتأوه من الألم بصوتٍ ممزوج بالدلع والوهن فهم فواز بها لولا أنه تذكر أنها فاقدة الوعي وبصعوبة سيطر على مشاعره تجاه سماهر.
وإذا بها تعتدل فجأة، ثمّ تضع يدها على فمها ناظرة لفواز لثوانٍ قليلة هبّت بعدها من فوق السرير لتنطلق مسرعة نحو دورة المياه داخلة إياها مغلقة الباب خلفها وبنبرة عالية شيئاً ما أخذت تتظاهر بالتأوه والألم، ثمّ تحولت إلى مرحلة القيء، ثمّ وضعت بعض قطرات الماء على وجهها عند خروجها وكأنّ عرقها أغرقها، ثمّ أمسكت ببطنها وفتحت الباب خارجة.

صدم فواز من شكلها وركض نحوها وهي تحاول أن تستند على الحائط حاملاً إياها بين ذراعيه ليتوجه بها إلى الفراش مرة أخرى، وهو لا يكف عن سؤالها عما تشعر به وماذا حدث لها.
هنا أدركت سماهر بأنّ إحساس الحبّ قد بدأ في التمكن منه تمكن منه احتضنته وكأنّها تخشى السقوط من بين يديه، فضمها فواز إلى صدره أكثر وأكثر كأنّه لا يريدها إن تبتعد عنه ولا عن نبض قلبه الذي بدأ دقاته تتسارع حتى شعر، وكأنّه يكاد يخترق غلاف صدره ليمزقه ويكسر ضلوعه وتملك هذا الإحساس منه الذي لم يشعر به من قبل وأيقنت سماهر أنّها تقترب من هدفها، فأخذت تكرر النداء باسمه بشيء من

الإرهاق، فانتبه لها وأيقظت كلماتها مشاعره الملتهبة أكثر وعاد من عالمه الذي داعب جوارحه مستفسراً بشيء من الاهتمام والخوف.

_ فواز: ماذا بكِ؟ هل انتِ بخير؟

إلا أنّ ردها كان أن أسرعت مرة أخرى إلى الحمام وهذه المرة سمع فواز صوت سقوط شيء بالداخل فأسرع خلفها، وقد تملكه شعوراً ما بين الخوف والقلق عليها ليرى ما جعله يرجع خطوتين للخلف في ذعر ورعب، فقد وجدها ملقاة على الأرض فاقدة الوعي، فأسرع بحملها صارخاً.

_ فواز: أريد طبيباً.. طبيباً.

فاقتحم الحارس الغرفة على صراخه، ولكنه لم يستوعب ما يراه، فقد وجد سيده يحمل سماهر كالمجنون ويدور بها بالغرفة حاملاً إياها بين ذراعيه صارخاً على دكتور لإسعافها فأسرع لتنفيذ طلبه، ولأول مرة يذهب فواز بفتاة إلى غرفته الخاصة دون أي سبب لمجرد فقدانها للوعي فقط، وظل جالساً بجوارها ممسكاً بيدها كالطفل الذي يخشى فراق أمه دون أن يدري وأخذ يحدث نفسه.

_ فواز: لماذا؟ أهو الحب؟ أم الشفقة؟ أم لعلّه.. لعلّه الأمل الذي أنتظره، ترى أتكون... وقبل أن يكمل حديثه إذا بالطبيب شاكر يدخل الغرفة متوجهاً إليهما.

_ شاكر: ماذا حدث يا فواز بِك؟

_ فواز: (أشار بيده إليها متلعثم الكلمات) لا أدري ما حدث لها كانت متعبة وسقطت بالحمام مغشياً عليها، أرجوك افحصها وطمئني ماذا بها، ولو حدث لها أي مكروه أقسم أني سأقتلك.

نظر شاكر مندهشاً من أمر سيده وقد اختلطت دهشته بالرعب لما سمعه، ثمّ تسمرت قدماه في مكانهما.

_ فواز صارخاً: أسرع وافحصها جيداً، اجعلها تستعيد وعيها.

ومن داخلها أخذت سماهر تضحك مما يدور بين الطبيب وفواز وأدركت أنها تمكنت من فواز وقلبه قبل أن يعلم بحملها، وبعد انتهاء الطبيب من فحصها وهو في حالة رعب من رد فعل فواز ألقى على مسامعه الخبر الذي كاد يطير من أجله فواز من على الأرض ليحلق في السماء.

_ شاكر: مبروك، إنها حامل.

انقضّ فواز على شاكر محتضناً إياه من فرحته مبشراً إياه بمكافأة كبيرة لا يتخيلها، وبدأ التوتر على ملامح الطبيب مما يحدث لفواز، وخرج ضارباً كفاً على كفٍ معتقداً أن فواز قد جنّ جنونه، فهو لم يرَه هكذا من قبل وأغلق خلفه الباب.

جلس فواز بالقرب من سماهر ناظراً إليها، وكأنه يراها لأول مرة وأدمعت عيناه وهو يضغط على كفها بحنان ورفق.

_ فواز: لا أصدق ولا أتخيل أن يأتي اليوم الذي يخفق قلبي فيه لأي امرأة فماذا فعلتِ بي...!

تصنعت سماهر بعد سماعها لكلماته أنها تفيق وهي ممسكة برأسها وتنظر له سائلة عما حدث، فابتسم بفرحة ممزوجة بالحب.

_ فواز: أنتِ حامل ستكونين أماً لابني هو مؤكد ولد.

وأخذ يروي لها ما حدث وهو ممسكاً بيدها، فنزعت سماهر يدها مبتعدة عنه وهي تبكي وتخفي وجهها بكفيها.

_ سماهر: وما فائدة هذا الحمل سأتخلص منه.

_ فانتفض فواز من مكانه واقفاً منزعجاً بما قالته متسائلاً: لماذا؟ وما هذا الهراء الذي تتفوهين به؟

_ سماهر: وهل من المنطق أن يولد ابني ويجد أمه عاهرة!

_ انزعج فواز لما قالته وأخذ يصرخ: ما هذا الكلام أنتِ زوجتي وهذا طفلي.

وزادت سماهر من بكائها وهي تحدث نفسها بصوت عالٍ لسمعه: يا لحظك السيّئ يا ولدي تأتي للدنيا لتجد أمك عاهرة وأبوك هو قوادها.

تراجع فواز للخلف بخطوات بطيئة مثقلة عند سماعه لهذه الجملة ناظراً للأرض في حزنٍ وخجلٍ، وأخذ يتذكر كل أفعاله وكأنّ ضميره استيقظ، وأخذ يؤنبه بعدما هوت عليه كلمات جديدة من سماهر مرة أخرى كلكمة أفاقته من حالته وهي تقف على السرير قافزة للأرض.

_ سماهر: لابد أن أتخلص منه.

وهنا أسرع فواز لمنعها؛ فتلقفها قبل أن تنزل على الأرض لترتمي بين أحضانه مرة أخرى متصنعة الألم والتعب، وخرّت قوة فواز مرة أخرى وهي بين يديه، وأخذ يقبّلها معتذراً لها مع اعترافه لها بحبه، وفرحته بحملها وبأنّه لأول مرة الحب يزور قلبه ويشعر بجمال هذه المشاعر داخله.

أخذت تمارس سماهر عليه سحر جمالها ودلالها وهي تداعب مشاعره كحبال العرائس المتحركة، فتنهدت وصار عطرها يملأ صدر فواز وبطبيعة غريزته الشهوانية، أخذ يشمها ويتذوق كل قطعة بجسدها ويسيل لعابه عليه، ولكن هذه المرة ليس كذئب يريد التهام فريسته، ولكن بجنون العشق الذي التهم فؤاده.

على الجانب الآخر، تملكها شعور بالتقزز تجاهه إلا أنّها جارته حتى تتمكن منه وبعد أن انتهى من حالة عشقه التي تملكته وأفرغ داخلها كل طاقته التي نضبت داخله، اعتدل جالساً بجوارها.

_ فواز: كل ما تطلبينه أوامر وسأنفذه لكِ مهما كلفني الأمر.

فابتسمت سماهر وهي تلف يدها حول عنقه بكل دلال:

_ كل ما أطلبه منك؟

فهز فواز رأسه وهو ينظر إلى وجهها متمتماً بكلّ حبٍّ وشغفٍ:

_ نعم كل ما تطلبينه ولم تطلبيه رهن إشارة من يدك بشرط أن تحافظي على نفسك وعلى هذا الجنين.

اعتدلت سماهر على سريرها لتلقي عليه مطالبها بكل حزم وبلغة صارمة هذه المرة:

_ أريد أن أعود إلى غرفتي.

_ فنظر فواز لها مندهشاً: غرفتك! ولكن هذه غرفتي الخاصة وأصبحت من اليوم غرفتك أيضاً.

فتصنعت الغضب وابتعدت عنه قليلاً

_ سماهر: هذه ليست غرفتي لقد كانت فيما سبق لكل فتاة تأتي بها إلى هنا، وأنا لا أريد أن أشارك أحداً أو يشاركني فيك أحد في كل ما يخصك بعد اليوم، لا بالغرفة ولا فيك أنت شخصياً.

ابتلع فواز ريقه بصعوبة وتوتر إلا أنه كان سعيداً من داخله وهو يشعر بغيرة سماهر عليه التي أفقدته ما بقي من عقله فهو لم يقابل من قبل فتاة تغار عليه حتى من غرفة جالسته فيها امرأة أخرى، فأخذ يضحك

_ فواز: ليكن، وكما قلت لك كل طلباتك أوامر سأجعلهم يجهزون لنا غرفة أخرى، فمن اليوم لن أفارقك ولن يكون في حياتي امرأة أخرى غيرك.

أدارت سماهر وجهها له وبمكر ودهاء النساء: حقاً! ولا امرأة أخرى؟

فأشار فواز برأسه مؤكداً ما قاله، ولكنه لم يتوقع ما أثارته سماهر عقب تأكيده لجملته لها.

سماهر: إذاً فأعلم أني كالفريك لا أحب الشريك، عليك أن تطلق زوجاتك.

فزع فواز من طلبها وأخذ يحاول معها أن تتراجع عن هذا الطلب، إلا أنها تمسكت به معلنة غضبها من تردده ورفضه لطلبها متوجهة إلى باب الغرفة مسرعة.

سماهر: إذاً أنا بغرفتي القديمة لحين تنفيذ طلبي ولا أريد أن أراك إلا وأوراق طلاقهن بيدك.

وخرجت متوجهة لغرفتها تاركة فواز في ذهول وصدمة وقد ظل وقفاً وسط الغرفة بلا حركة فاتحاً فمه وعينيه معلقة بها وما إن خرجت حتى استشاط غضبه بعدما تركته دون أن تنتظر رداً منه.

فسارع باللحاق بها إلا أنها كانت قد وصلت إلى غرفتها لتدخلها وتغلق بابها خلفها، بعد أن أخذت المفتاح من الخارج وأغلقت على نفسها من الداخل، وتنهدت لنجاح أول خطوة بخطتها

أخذ فواز يصرخ خارج الغرفة لكي تفتح له، ولكنّها لم تجِب عليه بكلمة حتى تركها وذهب وهو يستشيط غضباً يركل كل شيء أمامه.

ثمّ ركضت مسرعة إلى النافذة عندما تأكدت أنه ذهب لتنادي على نجوى وتطمئن عليها، وما إن رأتها حتى أصيبت بالدهشة العارمة، فلقد كان وجهها متورماً.

_ سماهر شاهقة: ماذا حدث لكِ؟

فأخذت نجوى تبكي وهي في حالة يرثى لها، كلماتها تخرج من فمها بصعوبة.

_ نجوى: رجل مريض دفع لفواز واختارني ليدخله غرفتي فأخذ يمزق ملابسي ويضربني بوحشية، حتى أفقدني الوعي واغتصبني عدة مرات بكل ما يملك من قوة.

وزادت نجوى في البكاء داعية أنّ الله يرحمها بموتها ويخلصها من هذا العذاب.

_ سماهر: أقسم أن تكون نهاية ابن العاهرة فواز هذا على يدي وأن أخلص كل النساء من شره.

_ مسحت نجوى دموعها متسائلة: ماذا فعلتِ؟ وكيف سمح لكِ فواز بالعودة مرة أخرى للغرفة؟

أخذت سماهر تقص عليها ما صار، فتبدلت دموع نجوى إلى ضحكات وهي لا تصدق ما حدث ضاحكة:

_ صحيح (إن كيدهن عظيم).

إلا أن سماهر شردت بعض الوقت

_ نجوى: ماذا بكِ وإلى أين شردتِ بذهنك؟

_ سماهر ناظرة لها: أريد شيئاً ولا أعلم كيف أحصل عليه وأنا هنا، ولا أعرف غيرك بهذا المكان.

فأشارت لها نجوى مستفسرة عما تريده وما يدور بعقلها.

_ سماهر (مبتسمة): أريد مخدراً.

_ شهقت نجوى: ماذا؟ ماذا ستفعلين به أيتها المجنونة!

_ سماهر ضاحكة: سأدلل زوجي الحبيب.

وانفجرتا ضاحكتين، وهنا تفتق ذهن نجوى عن فكرة ما.

_ نجوى: لا يوجد سوى شاكر.

_ سماهر: الطبيب؟

فأومأت نجوى برأسها في خجل، ففهمت سماهر المغذى من كلماتها.

_سماهر: أهو واقع في غرامك (وأخذت تضحك).

_ نجوى متبسمة في خجل: لا هو فقط مشفق عليّ عندما رآني بهذه الحالة، وقال إنه يعلم جيداً أني لست مثل باقي الفتيات، وقال أيضاً إذا احتجت أي شيء فهو تحت أمري، وسوف يحضر كل يوم للاطمئنان عليّ.

_ سماهر: وهذا هو المطلوب.

وأخذتا تخططان سوياً كيف ستطلب منه نجوى المخدر دون أن يشعر بشيء وكيف تستطيع أن تقنعه.

الفصل السابع

وبدأت الخطة

حضر شاكر لمعاودة نجوى وقد وضح أنه قد أغرم فعلاً بها، فأخذت تتجاذب معه أطراف الحديث عما يحدث لها، وأنها أصبحت غير قادرة على تحمل هذا الإيذاء النفسي والجسماني وأنها تفكر جدياً في الانتحار حتى لا يحدث معها ذلك مرة أخرى .

فزع شاكر من فكرة إقبالها على الانتحار، وأخذ يهدئها محاولاً إبعاد هذه الفكرة عنها، وأخذت نجوى تبكي بشدة وتطلب منه المساعدة في إيجاد حل حتى لا يقترب منها أحد مرة أخرى.

إلا أنه كان عاجزاً عن إيجاد حلٍ، وكان يتمنى أن يساعدها ويجد لها طريقة لإنقاذها من هذا الوضع؛ لأنها لا تستحق كل ما تعانيه بسبب فواز الذي تلاعب بها وضحك عليها دون أن تعلم شيئاً عن حقيقته.

وهنا سارعت نجوى بتقبيل يده راجية منه أن يساعدها وينقذها مما هي فيه، وأخذ شاكر يفكر فيما يمكن أن يفعله لها، وفي وسط شروده لإيجاد حل وجد نجوى تصرخ: وجدتها... وجدتها، فانتبه لها مستفسراً عن الحل.

_ نجوى: أريد منك مخدراً قوياً، مورفين أي مخدر،

فصدم من طلبها دون أن يستوعب لما قالته.

_ نجوى بحماس: نعم هذا هو الحل فعندما يدخل غرفتي أحد سأضع له المخدر دون أن يشعر، فيفقد وعيه ولا يقترب مني وعندما يفيق أوهمه أنه شرب كثيراً وفعل بي الكثير حتى غاب عن وعيه.

_ شاكر: لكن هذه الأنواع قوية جداً، إنها من الممنوعات فهي قد تؤدي إلى الإدمان.

_ نجوى: أعلم وأنا سأستخدم مقداراً قليلاً كل مرة، فلا تنسي أن من يصعدون إلى هنا معتادون على الخمر والمخدرات لذا يجب أن يكون المخدر الذي سأضعه لهم أقوى وأشد حتى يؤثر عليهم.

راقت الفكرة شاكر ووجد أنّ هذا أنسب وأفضل حل لمساعدتها وفي اليوم التالي أحضر لها مخدراً من النوع القويّ، وشكرته نجوى لحسن تعاونه معها، وأخذت تشعره بالامتنان والإعجاب به ولموقفه معها.

فرحت سماهر لنجاح الخطة وحصولها على المخدر لإكمال خطتها مع فواز الذي أخذ يتردد على غرفتها دون أن تعيره أي اهتمام أو تفتح له باب غرفتها، فجنّ جنونه أكثر وأكثر، فهو يشتاق لها ولرؤيتها بعدما تمكن الحب من قلبه، وصارت روحه هائمة بها، وفي كل مرة كانت تجيبه من وراء الباب بأن عليه تنفيذ طلبها كي تسمح له بالدخول.

ظلّ هذا الوضع لثلاثة أيام متتالية حتى استسلم فواز إلى طلب سماهر ورفع راية الاستسلام معلناً في اليوم الرابع طلاق زوجاته الأربعة، وزجّ لها من أسفل الباب أوراق الطلاق حتى تتأكد من حبه لها وتنفيذ جمع طلباتها، ومن خلف الباب ضحكت سماهر لفوزها بالجولة الأولى وبداية طريق الانتقام فهي تعلم أنّ زوجاته من المؤكد لن يمررن فعله مرور الكرام.

وفتحت له باب الغرفة وهي تستقبله بأحضان حارة، وتعلقت في رقبته معبرة عن سعادتها بما فعله من أجلها، وهي تردد في نفسها بكل تحدٍ وروح الانتقام: القادم أقوى، فانتظر ما سأفعله للأخذ بالثأر وتحطيم غرورك وكبريائك أيها الملعون.

نسي فواز العالم وما اقترفه في حق زوجاته اللاتي رفعن جميعهن قضايا عليه لاسترداد حقوقهن بالاتفاق والاتحاد مع بعضهن وبدأت تتوالى المشاكل عليه وهو لا يبالي إلا بتواجده مع سماهر وإرضائها.
بدأت سماهر كل ليلة في وضع المخدر له في العصير، ويوماً بعد يوم أخذت تزيد من الجرعة دون أن يشعر، فتضعه مرة بالعصير ومرة بالقهوة، حتى أدمنها وأصبح لا يستطيع العيش بدون فنجان قهوتها.

أهمل فواز كل شيء في حياته سواء إدارة أعماله أو هذا الوكر الذي يديره للمتاجرة بأجساد الفتيات والسيدات.

وتوالت القضايا من زوجاته، فاقترحت وقتها سماهر عليه أن يتنازل عن جميع ممتلكاته لها حتى لا تنال زوجاته شيئاً ويصبح كل شيء لابنهما بعد ذلك، أخذ يفكر فواز ولكن لم تعطِه سماهر فرصة، فأخذت تتمايل وتنثر شباك دلعها مستغلة هيامه بها واشتعال غريزته تجاهها.

_ سماهر: ألا تخشى ضياع أموالك على بناتك وزوجتك أن يحصلوا عليها ولا يجد ابننا شيئاً له؟

طار عقل فواز مع سماعه لكلمة ابننا، فشعر وكأنه قد امتلك الكون كله، وشعر أنّ كلام سماهر في محله، فهل يعقل أن يأتي ابنه الذي ينتظره منذ زمن ليجد إرث أبيه ملكاً لغيره، فلاقت فكرة سماهر إعجابه.

_ فواز: لكن بشرط.

_ سماهر: وما هو؟

_ فواز: ستوقعين لي شيكاً بإجمالي ثروتي التي ستؤول لكِ ألا يمكن أن تلدي بنتاً وحتى لا تنفردي بالعمل أو يلعب الشيطان برأسك.

لبرهة أصيبت سماهر برعدة تسري في جسدها، فهذا الملعون ليس سهلاً، فانتفضت واقفة وقد ارتسم الغضب على وجهها.

_ سماهر: وأنا سأوقع لك كل ما تريد من أوراق كي تعلم أني لم أقل ما قلت إلا لصالحك أنت وصالح ولدك.

_ فواز: حبيبتي أنا من ابتدع هذا الأمر.

في اليوم الثاني طلب من محاميه نقل كل ما يملك باسم سماهر، وأحكمت سماهر شباك العنكبوت التي نصبتها حول فواز كي تلتهمه أكثر فأكثر، فنشرت هذا الخبر في كل أرجاء المكان بالقصر، ليعلم جميع من به أنّ كل شيء أصبحت تمتلكه سماهر

وتوالت الأيام والأسابيع واستطاعت خلالها سماهر في تجنيد المحامي الخاص بفواز وبعدة ملايين من الجنيهات استطاعت أن تشتري ولاءَه فسلمها كلّ الأوراق التي وقعتها كضمانٍ لثروة فواز.

حتى جاء اليوم الموعود للقضاء على فواز نهائياً، عندما ذهبت سماهر لتحرير كل من بالمنزل من الفتيات وأعطت الأمر لجميع الحراس بالانصراف من المنزل، وترك الفتيات يرحلن دون نقاش فهذا أمر من زعيمهم فواز الذي طلب منها تنفيذه لأن الحكومة تراقب المكان ومن الممكن مداهمته في أي لحظة.

أصيب الحراس بالرعب والخوف مما وقع على مسامعهم فسارعوا بتنفيذ الأمر دون مراجعة فواز الذي بات ملازماً للفراش بحجرة سماهر، بعدما

أصبح الأمر والنهي بيدها والكلمة كلمتها، وتم ما كانت تخطط له بنجاح وذهبت لغرفة نجوى.

_ سماهر: نجوى لقد حان الوقت لتحرير قيودك من هذا العذاب وهذه الحياة المهينة لكِ وللجميع.

_ نجوى: أنا لا أعرف أحداً بهذه البلدة ولا أعلم ماذا أفعل عند خروجي من هنا، سأظل معك ولن أتركك وحدك.

_ سماهر: لا وقت أمامنا، فإذا شعر فواز سوف يثور ويحرق المكان بكل ما فيه وربما قتلني بعدما أفلسته وتلاعبت به وقضت عليه.

_ نجوى: وماذا ستفعلين بعد ذلك، أنا أخشى عليكِ.

_ سماهر: لا تقلقي، فأنا أعلم جيداً ماذا سأفعل حتى أتخلص منه تماماً، اذهبي أنتِ إلى شاكر وسوف يساعدك في الرحيل إلى بلدك وأهلك.

_ نجوى: شاكر، إذا علم بما فعلتِه وما خططنا له ربما يبطل المخطط ويبلغ فواز بما حدث، وقد يلحق بكِ الأذى من أجل ولي نعمته.

_ سماهر: لا تقلقي عندما يحاول فعل ذلك فلن يجد وقتها غير حطام للمكان وفواز أيضاً.

ثمّ ناولتها سماهر كل الأوراق التي تتعلق بتنازل فواز عن ممتلكاته وأمواله.

_ سماهر: خذي هذه الأوراق واذهبي بها لعنوان هذا المحامي الذي قام بنقل الملكية لي فهو معه توكيل، اجعليه يرد المال إلى زوجات فواز حسب شرع ربنا وتحويل مبلغ منه إليكِ ليعينك أنتِ وأهلك عند رجوعك لهم سالمة كل شيء مدون بهذه الورقة، ما عليكِ إلا الذهاب له ومتابعة الإجراءات.

_ نجوى محتضنة سماهر وهي تبكي: أنتِ إنسانة جميلة حقاً ولكن ماذا سيتبقى لك ولطفلك، فلم يتبقَّ لكم شيء، وأين ستذهبِين بعد ذلك؟

_ سماهر: لم يعد لدي طفل.

_ نجوى (بشهقة عالية): ماذا تقولين؟ كيف لم يعد لديك طفل فأنتِ حامل منذ أكثر من ثلاثة شهور!

_ سماهر: لا أستطيع أن أقبل أن يكون لي ابن على اسم هذا الوغد الحقير، أو أجعل ابني يحمل وصمة عار مما صار لأمه وما كان عليه أبوه، لقد ضحيت به من شهر مضى دون أن يعلم فواز، وبعد أن تمكن المخدر من جسده حتى لا يلاحظ شيئاً.

أسرعت نجوى باحتضانها لمواساتها على ما تحملته طيلة هذه الفترة الصعبة من حياتها.

_ سماهر: لا تحكي لشاكر أي شيء، ولكن اعلميه أنّ المنزل احترق بكل ما فيه، وأنك استطعتِ أن تنقذي نفسك بأعجوبة.

_ نظرت لها نجوى بدهشة: ماذا ستفعلين يا مجنونة هذه المرة؟

_ سماهر (ضاحكة): سوف أرسل فواز إلى الجحيم.

ودعتها نجوى طالبة منها أن تلحقها إلى بلدها والعيش معها هناك بعيداً عن كل هذه المشاكل، وأن تبدأ هناك صفحة جديدة من حياتها القادمة.

لكن سماهر كان بداخلها مخطط آخر بعد التخلص من فواز، الذي كان شبه مخدرٍ داخل غرفتها، فقد عادت له، وهمَّ فواز إلى احتضانها كما اعتاد عندما يراها بقربه، ولكن هذه المرة دفعته سماهر بقوة ليقع على الأرض مترنحاً زائغ العقل والعينين، ناظراً لها بحيرة وغضب مما فعلته، وأراد أن يعتدل ولكن لم تسعفه قواه على الوقوف، فمالت سماهر تجاهه ممسكة إياه من شعر رأسه، وبكل كرهها له اقتربت منه، وبكل قوة تملكها حواسها.

_ سماهر: أحب أن أزف إليك خبرَ أنني كنت حاملاً بولد.

_ فواز بكل فرح وسعادة: ولد أخيراً يا حبيبتي سيأتي الولد منكِ، ولكن.. ماذا تقصدين بكلمة كنت؟

اعتدلت سماهر ضاحكة رغم ألمها على ما فعلته بابنها، نعم كنت لقد تخلصت منه.

صعق فواز من كلامها وأراد أن يقف للإمساك بها، ولكنه وقع مرة أخرى على أثر المخدر الذي أفقده توازنه، ولكن لم يفقده وعيه، فانهارت سماهر من الضحك باكية.

_ سماهر: لم يكن لابني ذنب أن يأتي وتصبح أنت والده وأنت لا تستحق أن تكون أباً.

حاول فواز بشتى الطرق النهوض ومعاقبتها، فقد جنّ جنونه وأراد قتلها، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل وأخذ يثور ويزأر كأسدٍ هائج.

فأكملت سماهر: لن تستطيع فعل شيء، فأنت الآن عاجز بسبب المخدر الذي كنت أضعه لك، وليس هذا فقط ولكن جميع أموالك أصبحت ملكي، ولن يشاركني بها أحد بعد وفاتك.

_ صدم فواز من أثر كلمتها مردداً: وفاتي ماذا تقصدين بوفاتي؟

_ سماهر ضاحكة: هذا جزاؤك مقابل قتلك لكل طفلة برحم أمها واستغلالك لكل فتاة والمتاجرة بشرفها، سوف تنال عقابك على يدي.

ثم أدارت ظهرها لصرخات فواز وهو يستحلفها بحبه لها أن ترحمه محاولاً خداعها حتى تتراجع عما تخطط له، ولكن سماهر خسرت كل ما تبقى بداخلها من رأفة ورحمة تجاه كل من أذاها وأفقدها آداميتها كإنسانة.

وبدأت في إغراقه بمادة البنزين وهو يصرخ ويتوسل وبكل مقت الدنيا أشعلت فيه النار، وأخذ يصرخ والنيران تلتهمه حياً وانطلقت خارجة تفرغ باقي البنزين بالمنزل، ثمّ أسرعت بالخروج منه لتقف تراقب وتشاهد ألسنة اللهب تعلو وتشتعل وتأكل كل ما بالمكان معلنة نهاية فواز.

أغمضت سماهر عينيها باكية، وأخذت تستعيد كلّ ما مر بها من أحداث أُجبرت عليها منذ صغرها بداية من براءة طفولتها التي اغتصبت ولم تستطع المقاومة أو إنقاذها مما وصلت إليه وأغلقت عينيها باكية على عمرها الذي انتهك وحياتها التي لم يبالِ بها أحد، بعدما أصبحت لعبة بيد كل من حولها، ثمّ عادت لتفتح عينيها تزيح عنهما دمعها، ملمة خصلات شعرها المبعثرة معلنة قراراً قد اتخذته بكل قوة وإرادة ينبع من داخلها لإشفاء غليلها، فقد أعلنت الانتقام من كل من ساقها لهذا المصير بعد أن تخلصت من قطعة منها لم يكن لها ذنب في كل ما مرت به، فقد قتلت من كان بأحشائها قبل أن يرى الدنيا أو تفرح به وبأمومتها معه، وكان أولهم (فواز) الذي احترق مع احتراق قلبها.

****

الفصل الثامن

تمكنت فكرة الانتقام من سماهر، وحددت هدفيّها المتبقيين شريف ونوال، فكلاهما كان السبب فيما وصلت إليه ومن المؤكد أنهما قد أوقعا بالكثير من الفتيات غيرها، فعزمت النية على الرجوع لهما في ثوبها الجديد المبطن بالانتقام والتشفي فيما ستفعله بهما.

بداخل مكتب شريف بالملاهي جلست سماهر ممسكة بسيجار فخم في يدها تنفث دخانه بكل تكبر واعتلاء ضاحكة بعدما استقبلها شريف لها بحفاوة.

_ سماهر: كيف حالك يا شيري؟ هل افتقدتني؟

_ شريف: لم يعد المكان له قيمة بعد رحيلك يا ساحرة الملهى.

_ سماهر (ضاحكة بصوت عالٍ): دائماً تغلبني بكلامك الذي لا يقاوم.

_ شريف: كلماتي لا تستطيع وصف حبي لك، فأنا أعشقك.

_ سماهر: حقاً! ولماذا لم تعبر عن مشاعرك هذه من قبل يا شيري؟ لماذا تنازلت عني إذاً مع أول إشارة من فواز؟ مؤكد الثمن كان غالياً أم تراك كنت خائفاً منه!

شريف وكأنّه تذكّر فواز الذي غفل أن يسألها عنه متسائلاً محاولاً تغيير مجرى الحديث: صحيح كيف حاله؟ وأين هو؟

سماهر أيقنت أنّ خبر فواز لم يعلم به شريف بعد، فتصنعت الحزن: (فواز) -ثمّ افتعلت البكاء - ألم تعلم ما حدث له؟ لقد توقعت أنك علمت وتجاهلت الواقعة لذلك لم تأتِ للعزاء، وأكملت بكاءها.

_ شريف (مندهشاً): عزاء، فيمن يا ترى؟ فأنا لا أعلم عنه شيئاً منذ أن أخذك مني ومن المكان لنفسه!

_ سماهر وهي تتظاهر بالحزن: لقد شبّ حريق بالمنزل ولم نستطع إنقاذ فواز من لهيب النار (تزيد من النحيب في البكاء): حبيبي أنقذني ولم يستطيع الخروج من المنزل.

_ شريف: يا إلهي.. هل كان هذا هو الحريق الكبير بهذا القصر المذكور بالجرائد والذي لم ينجُ منه صاحبه.

_ سماهر: نعم.

_ شريف: ولكن لم يذكر اسم صاحبه أو أي معلومات عنه، ولذلك لا أعلم أن فواز هو المذكور.

_ سماهر: عذرك معك يا شيري، فأنت تعلم أنّ فواز لم يكن يحب أن يظهر بالصورة أو أن يعلم أحد عنه شيئاً بمصر أو عن وجوده، فكانت كل

أعماله هنا باسم مستعار كستار له لضمان عدم التعرف على حقيقة شخصيته، كما كان القصر باسم شخصٍ آخر لم يستدلوا عليه.
وأخذت تمسح دموعها الكاذبة مكملة كلماتها التي كانت كالصاعقة على مسامع شريف.
_ سماهر: ولكني استطعت استعادة القصر باسمي فقد تنازل فواز عن جميع ثروته لي قبل وفاته.

برقت عين شريف لا يصدق أنها أصبحت المالك لكل ثروات هذا الفواز الذي لم يكن يستطيع أن يعترض عليه أو يرد له كلمةً أو طلباً خوفاً من نفوذه ومكانته، فاقترب منها وأخذ يقبل يدها، وكأنّ ولاءَه أصبح ملكاً لها أيضاً مع ثروة فواز.
_ شريف: حبيبتي أنا تحت أمرك في أي شيء، اعتبري شريف خادماً تحت رجلك ورهن إشارة منك فيما تريدين.
تبسّمت سماهر وهي تداعب خصلات شعره قائلة:
_ حقاً يا شيري، هل ستفعل كل ما تريده سماهر حبيبتك؟
_ شريف: نعم، حتى لو طلبتِ لبن العصفور.

وقفت سماهر واستقامت قامتها بكل مفاتنها التي زادت عن ذي قبل وهي تتحرك تجاه مكتبه لتجلس على كرسيه وتضع سيجارة أخرى بين شفتيها

القرمزية وتشير له ليشعلها، فاقترب منها وهو يدنو من شفتيها التي أشعلت النيران داخله وهي تخرج منهما الدخان بالقرب من فمه فزاد من ارتباكه

_ سماهر(ضاحكة): أنا لا أريد لبن العصفور، بل أريد العصفور ذاته.

_ اعتدل شريف بعد كلماتها متسائلاً: العصفور نفسه، ماذا تقصدين؟

_ ضحكت سماهر: أريد نوال فهي سبب الخير ووجه السعد عليّ، أحب أن أشكرها ومكافأتها على هذا المعروف فلولاها ما كنت أملك هذه الثروة الهائلة.

ابتسم شريف بخبث ولا أريد ظلم الذئاب بتشبيهها إياه، قائلاً:

_ وهل نسيتِ شيري يا سوسو؟ ألم أكن أنا من أقنعك بالزواج من الله يرحمه؟

_ سماهر (داخل نفسها): الله لا يرحمه مكان ما ذهب وإن شاء الله تلحق به قريباً أنت والعصفور الذي ستحضر لي لبنه بيديك، وبنبرات عكس ما بداخلها: أنا لا أستطيع نكران موقفك وسوف أضاعف مكافأتك بالطبع أضعاف لا تتوقعها _ أخذت تضحك _ اصبر تنل يا شريف باشا.

ثمّ توجهت سماهر إلى الباب لترحل وأدارت ظهرها لشريف وهي تتوعده بالانتقام معلنة الحرب والتخلص ممن قاما بأذيتها، ثمّ التفتت له تذكره

بإحضار نوال وهي تشير إلى مكتبه، تاركة له الكارت الخاص بجميع التليفونات ليخبرها بتحديد موعد اللقاء.

بعد انصراف سماهر أسرع شريف بالتقاط هاتفه متلهفاً لرد الطرف الآخر عليه وبعد عدة محاولات فاشلة حصل على مراده وتم الرد.

_ شريف: نوال اتصلت بكِ كثيراً ولم تردي عليّ.

_ نوال: هل جننت كيف تتصل بهذا الوقت؟ ولمَ كل هذه الاتصالات؟ هل حدث شيء؟

_ شريف: تعالي إلى مكتبي أريدك فوراً لأمرٍ عاجلٍ لا يستدعي التأخير.

_ نوال: الآن، أقلقتني ماذا حدث لكل هذا؟

_ شريف: عندما تأتين سأخبرك.

ثمّ أغلق الهاتف وجلس خلف مكتبه وصارت خواطره تتعمق بداخله محدثة نفسه والطمع الذي تلحفت به أفكاره الخبيثة كالأفعى التي تدرس كيف ستهاجم فريستها للحصول على مرادها، فأخذ يفكر كيف سيستفيد من سماهر والطريقة المثلى للاستيلاء على كل ما تملكه من ثروة، فهي الآن لم تعد في احتياج له أو الرجوع إلى الملهى، فكيف يستطيع السيطرة عليها مرة أخرى وامتلاكها كما سبق، وأخذ يلف ويدور داخل حجرة المكتب

ينسج عقله خيوط العنكبوت التي ستلتف حول سماهر للإيقاع بها في شبكته.

وبعد فترة من الوقت لم تستغرق أكثر من ساعة زمن اقتحمت نوال المكتب وشتت أفكاره المبعثرة وهي تتنفس بصعوبة مسائلة.

_ نوال: ماذا حدث؟ وكيف حدث ذلك؟

_ شريف متعجباً: عمَّ تتحدثين بالضبط؟!

_ نوال: عن سمر... سمعت من الحراس أنها جاءت إلى هنا وكانت بسيارة فخمة وهيئة أفخم، ماذا حدث أفهمني؟

_ شريف متنهداً وأشار إليها بالجلوس في هدوء، ثم سألها: هل علمتِ بحادثة القصر الكبير الذي احترق بطريق الساحل الشمالي ووجدوا بداخله جثة متفحمة لرجل لم يستدل أحد على شخصيته.

_ نوال: نعم، إنها كانت حادثة كبيرة يتحدث عنها الجميع.

_ شريف بنبرة صدمت نوال: لقد كان فواز الأحمدي.

_ نوال: يا إلهي فواز زوج سماهر!

_ شريف: نعم هو، علمت ذلك منها كما أنّها أصبحت تملك كل شيء حتى ذلك القصر الذي تمت إعادته لها ولمتلكاتها، لقد أصبحت صديقتك ثرية

لدرجة لا تتخيلينها، وجاءت تطلب مجيئك لتكافئك عما أصبحت عليه من ثراء فاحش.

_ نوال: سمر الفقيرة التي كانت لا تجد طعاماً أو مكاناً يؤويها، أصبحت بين ليلة وضحاها غنية لهذه الدرجة _ بنت المحظوظة _ حسرة على بختك يا نوال من يوم ما فتحت عيني على الدنيا لم أتحصل على عشر ما نالته تلك المحظوظة، لقد حظيت بحب وحيد أخي واحترام وحب أمي لها إلى الآن، وبالنهاية أصبحت من الأغنياء وجاءت لتمنّ علينا أم تذلنا بما أصبحت فيه الآن!

_ شريف: أياً كان ما جاءت من أجله، فنحن لابد أن نفكر في الطريقة التي نستفيد بها من ثروتها وكيفية الاستيلاء عليها.

نوال ناظرة له بعين الشياطين وقد استهدف عقلها القضاء مرة أخرى على سماهر لتستفيد من ورائها كما كان من قبل، ولمعت برأسها فكرة، فقفزت ممسكة بكتف شريف:

_ لا يوجد إلا حل واحد.

شريف وقد شعر بحماس نوال لفكرته وأيقن أن عقل الشيطان الذي يتمثل بأفكارها لم يخطئ لإيجاد الحل الأمثل.

_ نوال: الزواج.

وأخذت تضحك بصوت عالٍ ينم عن خبثها وشرها.

_ شريف: ماذا؟

_ نوال: نعم زواجك بها ألم تكن تريدها لنفسك!

مُذ رأيتها للمرة الأولى ولولا فواز ما كنت تركتها حتى تنال منها وترضخ لك لتشبع غريزتك التي اشتعلت منذ رؤيتها، لقد كنت أراك وأنت تراقبها وهي تتحرك أمامك وتقترب منك فيزيد الاشتعال بداخلك، إلا أنها كانت عنيدة ودائماً تصدك، والآن جاء الوقت لتنال منها لكن بطريقة مختلفة ومناسبة لنكسب جميعاً منها بشكل أكبر.

راقت الفكرة شريف ولم يعترض، بل أخذت حواسه وأفكاره تتخيل سماهر بين أحضانه، خاصة بعدما زاد جمالها وزادت معه رغبته فيها.

_ طرقعت نوال إصبعها أمام عينيه: أين شرد عقلك؟

فعاد شريف بذهنه الشارد إلى تكملة الحوار معها، متسائلاً:

_ وهل ستوافق على هذا الطلب، فأنتِ لم تري ما أصبحت عليه الآن، لقد اكتسبت زيادة عن الجمال.. القوة والمال والنفوذ، فكيف برأيك ستقبل عرض الزواج بعد وصولها لهذه المكانة؟

_ نوال: القلب يعشق الدلال يا شيري، وأنت أستاذ في الدلال والعشق، أم نسيت كيف أوقعتني؟

وأخذت تتعالى ضحكاتهما واسترجع عقلاهما ذكريات لقائهما الأول وكيف وقعت نوال بشباك شريف.

الفصل التاسع

فلاش باك

كانت نوال تعمل كممرضة بأحد المستشفيات الخاصة وأثناء ورديتها الليلية اقتحم أبواب المشفى رجل وسيم ممشوق القوام جميل الملامح ملطخة ثيابه بدماء طفل يحمله بين ذراعيه مصاب في حادث سيارة.

وتعلقت عيون الممرضات وشردن في جماله ولم يتقدمن لإنقاذ المصاب الذي ينزف بين يديه، فأخذ يصرخ وسط ممرات الطوارئ طلباً لاستجابة أي أحد لإنقاذ هذا الطفل الذي يتراوح عمره ما بين العاشرة والثالثة عشر من عمره حتى خرجت نوال من غرفة الكشف مسرعة على صوت صراخه، فأخذته منه متوجهة به إلى الداخل، واستدعت دكتور الطوارئ لإيقاف النزيف وعمل الأشعة اللازمة له، ثمّ طالبت هذا الشاب بالاسترخاء والمكوث بالاستراحة لحين الانتهاء على أن تخبره بالنتيجة.

استغرق علاج الطفل ساعة إلا ربع حتى تم تضميد الجروح ووقف النزيف والاطمئنان على الطفل وعمل اللازم، ثمّ استدعت الشاب الذي كاد ينهار على مقعده وهو جالس بالخارج في الاستراحة لتكملة الإجراءات وملأ استمارة المستشفى ودفع التكلفة مع إخباره بحجز غرفة للطفل لمدة ٤٨

ساعة للاطمئنان واستقرار حالته، فدخل عليها الشاب وأعصابه متوترة يستفسر عن حالة الطفل.

_ نوال: لا تقلق إنه بخير، لقد أصيب ببعض الكسور الخفيفة والجروح الطفيفة، ولكن نريد استكمال بيانات المريض وحضرتك لحجزه مدة يومين بالمستشفى ودفع تكلفة العلاج ومبلغ تحت الحساب للحسابات.

_ الشاب وقد هدأت أنفاسه وانتظمت ضربات قلبه من الخوف: ألف شكر لحضرتك لقد فعلت كل ما طلبتموه مني وسأظل مع الطفل حتى أطمئن عليه.

_ أشارت إلى قميصه الملطخ بالدماء: تفضل معي إلى غرفة الطفل وابقَ بها حتى ننظف لك قميصك... ابقَ هنا أستاذ...

_ الشاب: اسمي (شريف الخولي)

فانتبهت إلى لغته اللبنانية، ثم ناولها الكارت الشخصي له.

_ نوال: حضرتك لست مصرياً.

_ شريف: لا أنا لبناني الجنسية مقيم بمصر.

_ نوال: أهلاً بحضرتك في بلدك الثانية.

_ شريف: شكراً لذوق حضرتك وحسن تعاونك.

_ نوال: العفو هذا واجبي، وإن شاء الله ستطمئن على ولدك ويقوم بالسلامة، مع أنه لا يشبهك.

فابتسم شريف وهو ينظر لعينيها الذي زاد من ارتباكها قائلاً:
_ هو ليس ابني، مع الأسف لقد ظهر فجأة أمامي وأنا أسير بالسيارة، فصدمته دون قصد مني.

تنهدت نوال وكأنّ الإجابة أشبعت فضولها، ثمّ توجه شريف إلى دورة المياه لخلع قميصه، ووقفت هي تنتظر أن يناولها إياه، ولكنّها كانت مشغولة بقراءة الكارت الخاص به، والذي كان مدوناً عليه الاسم ورقم تليفوناته وعمله كرجل أعمال حر. واستحوذ على عقلها الشرود ولم تنتبه لخروج شريف من الحمام عاري الصدر ليناولها القميص، فرفعت عينيها له لترى جماله وقد زاد مع بروز عضلاته، فشهقت وارتبكت وحاولت الخروج، ولكن تعثرت خطواتها وكادت تسقط، فأمسك بها شريف حتى لا تصاب بأذى، ولكن ما يملكه من قوة البنية وعضلات ذراعه القوية جعلت حركته قوية في جذبها لترتطم بصدره.

احتضنته نوال بقوة لتتمكن من استعادة توازنها في الوقوف مرة أخرى، وامتلأ صدرها برائحة عطره النفاذ، فأفقدها توازنها أكثر وأكثر، فابتسم شريف وضمها لصدره بكل قوة
شريف هامساً بأذنيها:
_ أنتِ جميلة جداً، ودقات قلبك صوتها أجمل.

ارتبكت نوال أكثر وأكثر، ولكن شريف لم يفلتها من بين يده بل وقام بتقبيلها، فحاولت أن تفر من بين ذراعيه إلا أنها لم تفلح فقد تمكن من غلق شباكه عليها واحتوائها بكل ما يملكه من قوة ورغبة، وأخذ ينهال عليها بقبلاته الساخنة والتي أشعلت النار في الهشيم، فلم تستطع مقاومته، بل سايرته بعدما شعرت بأنوثتها التي افتقدتها مع زوجها، وأعاد إليها شعوراً بنشوة اشتاقت إليه كثيراً.

وأخذ شريف يتردد على المستشفى أثناء وردية نوال الليلية والتقرب منها، وفي كل مرة تتعمق العلاقة بينهم أكبر وتتعلق به نوال أكثر وأكثر، وبدأت الخلافات بينها وبين أحمد زوجها حتى صار الطلاق، عندما علم شريف بهذا الخبر ولأكثر من شهر ظلّ ينسج خيوطه من حولها حتى استطاع أن ينال منها مراده، وهنا ظهر على حقيقته وعرفت نوال طبيعة عمله بعدما اصطحبها إلى ملهاه وعرض عليها العمل به.

وهنا ظهرت لها الحقيقة جلية لقد استطاع الصياد أن يوقع بالفريسة، ولم يعد لها الخيار في الاستمرار والعمل معه، فهو لم يذقها حلاوة الحب والعشق والعلاقة الحميمية فقط، بل أذاقها كثرة المال والهدايا التي لم تستطع الاستغناء عنها، إما أن تعود إلى عملها بالمشفى والفقر مرة أخرى، وهنا قررت أن تستمر.

_ شريف: لننسَ الماضي الآن يا نوال فكل إنسان عليه أن يختار طريقه ولم يجبر أحد منا الآخر على شيء.

نوال وقد ترقرقت الدموع بعينيها للحظات:

_ نعم لقد اخترت هذا الطريق الذي أفقدني حب أمي وأخي وزوجي، وخسرت احترامهم لي، ولم أكتفِ أو أكفّر عن ذنبي، بل أصبحت أساعدك في إيذاء غيري والاستفادة منهن.

أشعل شريف سيجارته ونفث دخانها بعيداً عنه قائلاً في لا مبالاة: أنا لم أجبر أحداً على فعل شيء، جميعهن اخترن طريقهن، وهن يعلمن جيداً ما سيترتب على اختيارهن.

اكتظت ملامح نوال بحمرة الغضب عندما شعرت بكلمات شريف تصيب كبرياءها كالسهم المسموم الذي اخترق صدرها ليستقر في أعماق قلبها، فرفعت رأسها تتظاهر بلا مبالاة بما ذكره.

_ نوال: لم يعد هناك فائدة من هذا الحديث أو الكلام فيه، لنعد لموضوعنا الأساسي... سماهر... عليك أن توقع بها، وعاودا الحديث لخطة النيل من سماهر مرة أخرى.

****

الفصل العاشر

عادت سماهر إلى حجرتها بأحد الفنادق وألقت بجسدها على سرير يتوسط الغرفة، وهي تنعش صدرها برائحة الورد التي تفوح من داخل تلك الفازة بالقرب منها، وهي تنظر إليها وتذكرت أحلامها التي لم تتحقق وباقات الورد التي كانت تسير بها بين السيارات لتبيعها مع أوراق المناديل ومر بخاطرها كل شريط ذكرياتها المؤلم حتى أفاقت على صوت الهاتف.

_ سماهر: من المتحدث؟

جاءها الرد مع صوت ضحكة لم تستطع ذاكرتها أن تغفو عنه أبداً:

_ ألم تتذكري صوتي يا قطة... أنا نوال.

_ سماهر: وكيف أنسى صوت من كانت السبب في كل ما أنا فيه الآن (كيفك يا ست نوسة؟)

_ نوال ضاحكة: ذاكرتك قوية مثل صاحبتها.

_ سماهر: من بعض ما عندكم (تلميذتك).

_ نوال: تلميذة من! أنتِ أستاذة، شيري قال إنك طلبتِ رؤيتي بعد ما فتح الله عليكِ وأصبحتِ وريثة فواز.... حقاً لا أدري هل أعزيك أم أهنئك!

_ سماهر: قولي ما تريدين فلا فارق عندي ولقد طلبت فعلاً رؤيتك كي أشكرك وأهديكِ هدية بسيطة تستحقينها.

نوال لم تتمالك نفسها طمعاً في معرفة طبيعة الهدية مستفسرة: _ ما هي الهدية؟

_ سماهر ضاحكة: لا تتعجلي واصبري على رزقك، فالموضوع كبير وأنا لأجل عينيك سوف أحتفل معكما أولاً وبعدها سوف ترين هديتك المميزة أنتِ وشريف.

_ نوال: حبيبتي... أنا عارفة إنك بنت أصول ومؤكد ستقدرين العشرة اللي كانت بيننا.

وأخذت نوال تلعب على نقطة كرم سماهر لاستنزاف مالها تحت شعار العشرة والمودة منذ استضافوها في بيتهم إلا أن سماهر لم يرف لها رمش أو استطاع كلام نوال في تحريك أي شيء بداخلها خلاف الانتقام، وأنهت سماهر المكالمة بكل فتور ولا مبالاة دون أن تشبع فضول نوال خاتمة كلماتها بكل غموض قائلة: سوف أتصل بكِ مرة أخرى للاتفاق على موعد للقاء، سلام.

أخذت نوال تنظر إلى الهاتف بيدها متعجبة، ثم التفتت ناظرة إلى شريف:
_ من هذه لقد تغيرت تماماً، هل هذه سمر الضعيفة التي كانت تخشى رفع صوتها والحديث معنا.
_ شريف: هل رأيتِ بنفسك وعلمتِ ما أقصده أنها أصبحت واحدة أخرى غير سماهر اللي نعرفها، جمال وقوة وذكاء تستحق المعاناة حتى أصل لها.
كسا الغضب والغيرة ملامح نوال إلا أنها سيطرت على نفسها قائلة في سرها: سوف نرى مقدار معاناتك من أجل من أو بسبب من بالضبط، وبدا و كأنّ نيران الغيرة قد اشتعلت بداخلها هي الأخرى.

أغلقت سماهر الهاتف وانهارت باكية على المقعد المجاور لشرفة الغرفة المطلة على كورنيش النيل.
فجاءها صوت خطوات ثقيلة الخطى من خلفها قادم من خلف باب الحمام قائلاً:
_ لا تجعلي انتقامك يقتل ما بقي بداخلك من رحمة، أنت تبدين قوية، ولكنك هشة ضعيفة من الداخل هذه هي الحقيقة فأنا أعلم جيداً أنكِ مررتِ بحياة صعبة وأنهم زادوا من دمار حياتك، ولكنها كانت ضحية مثلك.
التفتت سماهر لمصدر الصوت في دهشة من أمرها فهي تعلم جيداً من صاحبة هذا الصوت.

_ سماهر: أنتِ... كيف جئتِ إلى هنا؟

_ نجوى: وكيف أتركك وحدك وسط كل هذا الألم الذي استحوذ عليكِ وأعمى بصيرتك.

_ سماهر: أنتِ تعلمين جيداً أنني لست كذلك.

_ نجوى: كيف وقد عزمتِ على الانتقام منها!

_ سماهر: هي بالفعل تستحق الانتقام، ولكن إكراماً لأهلها وما فعلوه معي والعيش والملح سوف أعيدها إلى رشدها، فتعود لتقبل أيادي وأقدام أخيها وأمها، فهما لا يستحقان الأذية أو الفضيحة.

فرحت نجوى بكلامها وضمتها إلى حضنها وهي سعيدة لاجتماعهما سوياً مرة أخرى كما سعدت سماهر بوجود نجوى معها وبجانبها في هذه الظروف التي تمر بها وتخطط لها.

_ نجوى: لكن ماذا ستفعلين معها ومع هذا الوغد الذي يدعى شريف.

_ سماهر: شريف سوف يعاقب كما عوقب فواز على جرائمه، أما هي فسوف ألقنها درساً لن تنساه طيلة عمرها حتى لا تحاول إيذاء فتاة أخرى مثلها، وأثناء حديثهما دق جرس هاتف الغرفة.

_ التقطت سماهر سماعة الهاتف: نعم... تمام؟ اجعله ينتظر وقدم له مشروباً، وسوف أنزل حالاً.

_ نجوى (بشيء من الحيرة): من الذي ينتظر أسفل؟

_ سماهر: تعالي معي وسوف تعلمين كل شيء.

بدّلت سمر ملابسها وارتدت "چيب" أسود قصير مع بلوزة سوداء ساتان معلنة عن مفاتنها وجمعت خصلات شعرها خلف ظهرها مرتدية نظارة شمسية سوداء، أما نجوى فقد ارتدت عباءة خليجي مطرزة بخيط حرير أسود اللون تاركة خصلات شعرها يداعبها نسيم الهواء ليهفو على وجهها خصلاتها وكأنها تحررت من الاحتلال.

واستقلتا المصعد، ثمّ توجهتا إلى صالة الانتظار بالفندق واقتربتا من طاولة يجلس عليها شاب وسيم وبسيط يرتدي بنطالاً أزرق وقميصاً أبيض حاملاً بيده فنجان قهوة وبالأخرى سيجارة أشعلها فقط، ولكن شرود ذهنه أنساه وجودها بيده

وبصوت ناعم ألقت سماهر عليه التحية، فوقف مصافحاً إياها هي ونجوى، ثمّ عادوا الجلوس.

_ الشاب: لقد استدعيتني دون معرفة السبب، خيراً إن شاء الله يا سمر!

_ سماهر: أولاً دعني أرحب بك وأعرفك على صديقتي نجوى ليست مصرية إنها من الإمارات وتقيم معي هنا.

_ الشاب: مد يده لنجوى مرة أخرى مصافحاً، وقد أسره جمالها ومظهرها الهادئ الرقيق.

_ نجوى: مرحباً، ولكن أنا لم أعلم من أنت حتى الآن ونظرت إلى سماهر.

_ سماهر: هذا أحمد طليق نوال.

وقفت الكلمات داخل حلق نجوى، وهبّت واقفة من مكانها تحدق به وبسماهر، وأخذت تتنقل نظرات عينيها بينهما، فجذبتها سماهر من يدها لتجلسها مرة أخرى لمقعدها.

_ أحمد (بنظرة إحراج): أمرك يا سمر هانم، كيف أستطيع أن أساعدك، فأنتِ تعلمين تقديري لوحيد ووالدته لدي ولولا أنك قلتِ لي أنّ الأمر يخصهما ما كنت حضرت.

_ سماهر: أنا لا أريد أن يعلم وحيد ما سيدور بيننا أو ماذا سوف يحدث فلا أريد أن يعلما شيئاً من أفعال نوال، فربما أستطيع أن أعيدها لك ولهما مرة أخرى.

_ أحمد: أنا سوف أفعل ما تأمرينني به من أجلهما، ومن أجل ابنتهم، ولكن آسف أنا لا أستطيع أن أعيدها لحياتي مرة ثانية، فقد اكتشفت مؤخراً أنها لا تناسبني كما أنني من حقي أن أفكر بنفسي ويكون لي أطفال، وهي لم تستطع ولم تقدر ما فعلته من أجلها وأهانتني.

نظرت له نجوى وشعرت أنه يحاول إخفاء معاناته من ذكريات الماضي والتي تمثلت في اختناق أنفاسه، فسارعت بابتسامة رقيقة.

_ نجوى: لندع هذا الحديث الآن ولنرَ ما يخبئه الله لنا من خير ثم نظرت له وابتسمت مرة أخرى.

فنظر لها أحمد وكأنّ الحزن بداخله تحول إلى أمل سطع بوجه نجوى وما قالته، كما نظرت لها سماهر مؤكدة كلماتها بابتسامة، فقد فهمت مكنون نجوى لتغير دفة الحوار والتخفيف عن أحمد هذا الوضع المحرج أمامهما.

_ أحمد ناظراً إلى سماهر: ما هي خطتك؟

_ سماهر: القضاء على شريف وملهاه.

_ أحمد: كيف؟

_ سماهر: سأشرح لكما، ماذا سنفعل..

_ نجوى: استر يا رب من أفكارك وخططك.

_ أحمد ناظراً لهما بدهشة، موجهاً حديثه لنجوى: ما بها أفكارها وخططها أهي جنونية لهذا الحد؟

فنظرت كلتاهما للأخرى ووضعت كل واحدة يدها على فمها لتضحكا بصوتٍ مكتومٍ، فهما تعلمان جيداً ما مدى تفكير وخطط سماهر التي من الممكن الإقبال عليها.

_ نجوى: ستعلم كل شيء عندما تنتهي من شرح الخطة.

_ سماهر: استمعوا جيداً لما سنفعله.

****

الفصل الاخير

في نفس اللحظة داخل ملهى شريف، جلست نوال خلف مكتب شريف تخطط معه كيف سيستولون على ثروة سماهر، وللمصادفة فكلٌ منهما انتهى من خطته.

_ سماهر: سوف أحاول استدراج نوال وشريف إلى المكتب بالملهى، وأنت يا أحمد ستذهب للحديث مع الشرطة وتوضح لهم خطورة هذا الرجل وما يفعله بالفتيات داخله واستغلالهم والسيطرة عليهم للحصول على المال من خلالهم، ولا تنسَ أن توضح أنّ نوال تقوم معنا بالمساعدة لكشف هذا المحتال، وأنها كانت أيضاً ضحية كباقي الفتيات التي استغلها، واحذر يا أحمد ألّا تذكر هذا حتى لا تتعرض نوال لأي مشكلة، فنحن لا نريد إيذائها.

_ أحمد: ولكنها تستحق فهي من تسببت لكِ ولبعض الفتيات الأخريات بالوقوع في شباك هذا الحقير الذي يدعى شريف.

_ نجوى: نعم يا أحمد، ولكن لا تنسَ أنها أيضاً ضحية مثل هؤلاء الفتيات.

_ أحمد: ولهذا فمن المفترض الانتقام منه وليس مساعدته في أذية غيرها.

_ نجوى: أنت متحامل عليها لأنها خانتك، ثم وقفت الكلمات في حلق نجوى عندما أدركت أنها أخطأت بحق أحمد كرجل وزوج، وصمت الجميع

فجأة من هول الصدمة، عندها لم تصمت دموع أحمد معلنة انهيارها لتتفجر ينابعها في صمت بعينيه.

_ سماهر: أعلم جيداً معاناتك وما تشعر به الآن، فقد حكت لي أم وحيد عن أفعال نوال معك رغم حبك لها الذي لم تقدره، لا تحزن وتغاضي عن أفعالها إكراماً لأهلها فهم لا يستحقون أيضاً المعاناة والحسرة من وراء استهتارها، ولا تنسَ أنها لم تفقدك أنت وحبك لها فقط، بل فقدت معكم أهم إحساس ممكن تشعر به المرأة وتتمناه ألا وهو أمومتها.

_ أحمد: وليكن هذا أكبر عقاب وجزاء لها، فكيف تكون إنسانة مثلها أماً ومسؤولة عن تربية طفل، أما أنتِ فحقاً برغم كل معاناتك إلا أنكِ إنسانة جميلة، لم تردي أذيتها لكِ بأذية مثلها.

_ نجوى: آسفة لكما فلم أقصد فتح الجراح القديمة، ولكن هل نبدأ من الآن تنفيذ ما اتفقنا عليه.

_ سماهر: نعم هيّا، وأنتِ ستظلين خارج الملهى على اتصال بي من خلال هذه السماعات لتخبريني بقدوم الشرطة مع أحمد أو إذا حدث أي شيء.

_ نجوى وأحمد: تمام انتبهي على حالك.

وبدأ الجميع يتحرك حسب مهمته المحددة.

على الجانب الآخر دق جرس هاتف شريف، فنظرت نوال للشاشة ضاحكة، فأسرع شريف بالرد في لهفة من أمره، وبكل شوق لم يعهده قلبه من قبل رغم جمود عاطفته للأخريات.

_ شريف: كنت أنتظر مكالماتك على أحر من الجمر.

_ سماهر ضاحكة: لهذه الدرجة مشتاق لسماع صوتي؟

_ شريف: ليس فقط صوتك بل اشتقت لك كلك.

فنظرت له نوال بحنق شديد، ولكن شريف لم يهتم لأمرها، وأشار لها بالخروج، ولكنها ظلت جالسة حتى انتهى من مكالمة الغزل التي أشعلت النيران داخل نوال.

_ نوال بكل غضب: قل لي من سيوقع من في شِباك من؟

_ شريف: ليس من شأنك، وحسناً إنك هنا لأنها سوف تأتي وتريد حضورك أيضاً، رغم أني أريد الانفراد بها وحدي لطلب الزواج منها، فإني أشتاق لهذا منذ معرفتي بها، وأخذ يضحك وكأن مراده قد اقترب.

_ نوال بصوت يجمع بين الغيرة والغضب: ولماذا كل هذه المشاعر المختلفة لها، ألم تكن معي من قبل ولكنك رفضت الزواج مني، رغم أنك دمرت حياتي!

_ شريف: أنا لم أجبرك على فعل شيء، أنتِ من سعى لذلك كما أنكِ ضعيفة وسلمتِ لي نفسك بكل سهولة، وأنا لا أحب هذا النوع، أما سمر فهي

إنسانة عنيدة ولم تعطِني فرصة الاغتنام بها، فكانت هدفاً صعباً تمنيت الحصول عليه لولا فواز الكلب الذي أخذها مني فلم أستطع الوقوف أمامه خوفاً من تدميري إذا اعترض، ولكن اليوم جاءت فرصتي للحصول عليها، فجمال سمر في الحلال، وهي تستحق أن تكون زوجة لي.

أثارت كلماته غضب نوال التي شعرت بالإهانة وبرخصها في عينه، وتذكرت أحمد زوجها الذي كانت بالنسبة له ملكة متوجة يسعى دائماً لإسعادها وإرضائها وتحمل الكثير من أجلها، ولكنها خسرته من أجل هذا الرجل الذي جعل منها مومساً وأذلها بعد أن كانت مكرمة ببيت زوجها الذي كان لا يستحق كل هذه المعاناة وسوء معاملتها، وأيقظتها من أفكارها وذكرياتها طرقات باب المكتب.

_ الحارس: مدام سماهر بالخارج تطلب الدخول.

قفز شريف من مكانه يأمره بإدخالها على الفور واتجه لاستقبالها بنفسه وهو متشوق لرؤيتها دون أن يبالي بوجود نوال التي أخذت تنظر له والشرر يتطاير من عينيها.

دخلت سماهر واستقبلها شريف بتقبيل يدها، وأخذت تضحك بكل افتخار لانحنائه أمامها وأمام نوال التي لم تستطع تمالك نفسها وهمت بالانصراف والخروج قبل أن تفقد السيطرة على نفسها.

ولكن سماهر استوقفتها بإشارة من يدها، مستفسرة عن رحيلها وهي تتعمد إثارة غيرتها وغضبها: إلى أين تذهبين هل فقدتِ شغفك لمعرفة هديتك عندما وجدتِ شريف يقبل يدي؟ واقتربت من شريف لتلف يدها حول خصره، مكملة حديثها وهي تطبع قبلة على خد شريف، لتزيد من اشتعال النار داخل نوال.

_ شريف: حبيبتي اتركيها ترحل فأنا مشتاق لكِ وأريدك بموضوع شخصي.
_ نوال تلتفت له: موجهة حديثها لهما وقد تمكن الغضب منها، عندك حق أنا ليس لدي مكان بينكما الآن.
ضحكت سماهر وابتعدت عن شريف ممسكة بنوال، موجهة لها ضربة عاصفة عندما قالت لها:
_ كيف تقولين هذا فأنتِ صديقتي فمن سيشهد على الحب الذي يكنه شريف لي غيرك كما أني أحضرت لكِ مفاجأة.
زاد حنق نوال عليها أكثر حتى كادت تهجم عليها وتفترسها إلا أنها توقفت مع رؤية دخول طليقها أمامها.
فـتسمرت بمكانها فاتحة فمها في صدمة من أمرها عندما رأت أحمد طليقها، ثبت شريف مكانه مندهشاً متسائلاً من هذا؟ وكيف يدخل هكذا المكتب؟

_ سماهر ضاحكة: هذه هي المفاجأة- وتوجهت إلى نوال- ما رأيك في هديتي لكِ يا عزيزتي نوسة؟

تجمدت ملامح وجه نوال، ولم تستطع الحديث وتلعثمت الحروف على لسانها، وتقدم شريف من سماهر ليسألها عما يحدث، ومن هذا الرجل؟

_ توجهت سماهر إلى نوال: من المفترض أن تعرفنا السيدة نوسة به أم أن المفاجأة أفقدتك النطق!

وقف شريف بينهما غير مستوعب ماذا يحدث وعن ماذا يتحدثون.

_ نوال: ما الذي تدبرينه.. ولماذا جئت به إلى هنا.. كيف تفعلين بي هذا؟

_ سماهر: حتى يعلم حقيقتك وسبب ما عاناه من أجلك طيلة فترة ارتباطه بكِ، فأنتِ لا تستحقين شخصاً طيباً حنوناً مثله حتى أهلك لا يستحقون ما فعلتِه بهم وبنفسك.

_ نوال: سماهر إياكِ أن تكوني قد أحضرتهم هم أيضاً، أقسم أن أقتلك بيدي هاتين.

_ سماهر: اهدئي فهم لا يستحقون ذلك الجرح.. فأنتِ مثال سيّئ للزوجة والابنة لهؤلاء الأشخاص الذين يراعون ربنا في كل شيء، أنتِ فقدتِ نعمة ربنا عليكِ فغيرك لم يحالفهم الحظ أن يحظوا بمثلهم في حياتهم.

انهارت نوال باكية ولم تستطع الرد فهي تعلم جيداً أي إثم ارتكبته في حقهم وحق نفسها، ولكن بعد فوات الأوان.

_ شريف: ماذا يحدث هنا، وما هذا المسلسل السخيف الذي يحدث بمكتبي؟

_ سمر ضاحكة: مسلسل! أنت لم ترَ جميع حلقاته بعد انتظر حتى يكتمل المسلسل.

ثم أشارت إلى أحمد الذي توجه إلى باب المكتب ملقياً عينيه على نوال ناظراً إليها في حزن وكأنه يؤنبها في أعماقه عما فعلته به وبنفسها، وما أصبحت عليه الآن من ذل ومهانة

_ شريف: ماذا تقصدين بكلامك؟

وقبل أن يصل أحمد إلى الباب، دخل أحد الحراس يلهث قائلاً: شريف بِك الشرطة تداهم المكان وتقبض على كل من فيه.

أسرع شريف إلى الشباك المطل على صالة الملهى ليجد الشرطة وقد انتشرت بها، فتوجه إلى درج مكتبه مخرجاً مسدساً وأشاح به في وجه الجميع وهو ينظر إلى سماهر.

_ شريف: أنتِ من دبرتِ كل هذا... شريف الخولي لم يهزمه أحد من قبل ولن تكون نهايته أبداً على يد امرأة، سأقتلك حتى لو كلفني قتلك عمري كله بالسجن.

علت ضحكات سماهر وسط ذهول الجميع قائلة: لا تقلق سوف تتعفن بالسجن ليس لقتلي، ولكن لإجرامك في حق كل فتاة استغللتها أيها القواد القذر.

_ شريف: كيف تفعلين بي هذا وأنا السبب في كل الخير الذي تعيشين فيه أنت وهذه – مشيراً إلى نوال.

_ سماهر: خيرا! أي خير في هذه الحياة الدنسة أنت تاجر رقيق بلباس القرن العشرين تتاجر في أعراضنا وشرفنا وتبيعنا لحماً لمن يدفع.

_ شريف: أي شرف وعرض وكأني أحضرتكن من المسجد ولا أدري... كلكن ساقطات.

_ سماهر ضاحكة: وآن الأوان للساقطات أن تسقط معها لقد انتهيت ولكن لا تقلق فحين تسجن سترى كيف يصبح الإنسان ساقطاً وتذكر أن إحدى ساقطاتك هي من أدخلتك السجن.

أثارت كلماتها وضحكاتها غضب شريف، فأطلق عليها الرصاص لينهي حياتها قبل حياته.

وصرخ الجميع صرخة هلع دوى لها المكان مع صوت طلقات الرصاص، لتفتح سماهر عينيها وتجد نوال أمامها تتلقى الرصاص بصدرها بدلاً منها.

فصرخت سماهر لهول المنظر وأسرع أحمد لحمل نوال بين يده ساقطاً بها على الأرض مع صرخات سماهر:

_ ماذا فعلتِ أيتها المجنونة – والتفتت إلى شريف - ستدفع ثمن فعلتك أيها الحقير.

ثم سقط المسدس من يده مع اقتحام الشرطة والإمساك به.

نظرت نوال إلى أحمد الذي أخذ يبكي وهي بين أحضانه غارقة في دمائها قائلة: سامحني فحقاً أنا لا أستحقك ولا أستحق هذه الدموع أريدكم جميعاً أن تسامحوني على أفعالي.

أخذت سمر تبكي وهي تضمها مع أحمد قائلة: أردت فقط أن أعلمك درساً حتى تعودي إلى رشدك وتعلمي قيمة أهلك، ولكن لم أتوقع ما فعلته من أجلي أو أن تضحي بحياتك بهذه الطريقة كي تنقذيني، لماذا فعلت هذا.

_ نوال: هذا أقل ما يمكن أن أفعله تكفيراً عن ذنبي في حق جميع من آذيته بأفعالي وأنتِ آخرهم، سامحني يا أحمد، سامحيني يا سمر، واطلبا من أمي وأخي أن يسامحاني

وسقط رأسها بين أحضان أحمد معلنة خروج روحها من الجسد الذي ظل سجين نفسها الأمارة بالسوء.

وهنا لم تتمالك سمر نفسها ووقعت عينها على سكين كان يتوسط طبق فاكهة على حافة مكتب شريف فالتقطته، وأثناء تقييد رجال الشرطة له انقضت سماهر عليه وسط ذهول الجميع وقامت بطعنه بالسكين من الخلف فاستدار في هلع وسط دهشة الجميع، وأخذت تطعنه بصدره وتطعنه وهي تصرخ حتى لاقى مصرعه وسقط قتيلاً.

أمسك بها رجال الشرطة وعلى الرغم من أن جريمتيها الأوليتين لم يتم كشفهما إلا أنها سارعت بالاعتراف بهما أثناء التحقيق معها واستمرت التحقيقات والمحاكمات حتى نالت حكم الإعدام وها هي الآن تجلس أمام اللواء صفوت الذي أرسل في استدعائها بعدما انتهى من دراسة ملفها.

_ صفوت: لماذا؟

_ سماهر: أريد أن أرتاح، أن أنام ملْء جفوني بلا تهديد أو خوف من جرائمي التي لم يكن لي ذنب فيها، ولكن الحياة أجبرتني على اختيار القتل، فقتلت أبي وفواز وأخيراً شريف أمام مرأى ومسمع الشرطة والجميع.

_ صفوت: قد لا نملك اختيار أهلنا أو البيئة التي نشأنا بها ولكننا نملك اختيار طريقنا بالحياة، لقد خلقنا الله أبرياء بالفطرة ولكن أقدارنا تخيرنا بين الخير والشر وبين الصالح والطالح نحن من نختار فعل الإثم وأفعالنا هي ما تؤهلنا إما للفوز بالجنة أو الخلود في النار. فلابد أن نقاوم كل ما يدور حولنا من عقبات ولا نترك أخطاء الآخرين تجعل منا مجرمين في حق أنفسنا قبل الآخرين.

_ سمر مبتسمة: سيادة المأمور قد يكون كلامك حقاً، لكن ماذا تفعل من كانت مثلي من لم تعرف معنى التعليم، من اغتصبت طفولتها قبل شرفها بعملها في الشوارع، من استغلها تجار الرقيق... قل لي أين المفر والملجأ الذي كان واجباً عليّ أن ألجأ إليه.. سيدي المأمور لقد فعلت ما

فعلت وأنا مقتنعة به وإذا عشت هذه الحياة مرة أخرى سأكرر ما فعلته وأنا أعلم أنّ الله سيعفو عني، ثم هبت واقفة:هل يمكنني الانصراف فأنا أريد النوم؟

مع وصولها لباب الغرفة إذا بصفوت ينادي عليها فاستدارت.

_ صفوت: لماذا لم تقابلي وحيد حين جاء لزيارتك؟

_ سمر متنهدة: إنه الشخص النقي الوحيد الذي قابلته في حياتي يا ليتني رأيته قبل أن أقوم بكل ما فعلت.

_ صفوت: هذا ما كنت أعنيه أننا من نختار.. كان يمكنك أن تهربي إليه بدل المرة عشرات المرات إلا أنك اخترتِ المال والحياة الرغدة المدنسة فكان لابد أن تدفعي الثمن، نعم ظلمك شريف وفواز، لكن أنتِ ساعدتهما على ذلك ببقائك معهما فلا تنسي ذلك أنتِ السبب فيما أنتِ فيه.

وترقرقت عيناها بالدمع.

_ صفوت: حسناً لقد ترك وحيد لك رسالة معي.

انتبهت سمر في وقفتها وهي تمسح دموعها.

_ صفوت: إنه يقول إنه لن يتركك وسيحارب حتى يخفف ذلك الحكم عنك... سمر تمسكي بالأمل فلعل الله قد كتب لك خيراً في هذه الدنيا.

ثم أغلق صفوت مأمور السجن صفحات ملف سمر عبد التواب الشهيرة بسماهر التي انطلقت متوجهة إلى زنزانتها تنتظر تحرير روحها من خلف قضبان السجن بالإعدام.

ومرت الأيام وجاءت لحظة النطق بحكم إعدامها من قبل المفتي، وقبل أن ينطق بأي حكم شعرت سمر بأنّ الدنيا تدور بها وأنها لا ترى أمامها، وفجأة أغمي عليها خلف القضبان واختل توازنها لتسقط بالأرض.

أفاقت سمر لتجد نفسها على أحد أسرة مستشفى السجن وبجانبها وحيد وأمه وبجوارهما أحمد ونجوى التي كانت ممسكة بيدها وهي مبتسمة.

_ سمر غير مستوعبة: ماذا حدث؟ وأين أنا؟ وكيف أتيتم إلى هنا؟

_نجوى مبتسمة: حبيبتي، هناك خبر رائع.

_ اعتدلت سمر في جلستها: خيراً.

_ نجوى: تماسكي أنتِ ما زالتِ حاملاً.

_ سمر: حامل كيف؟

_ أم وحيد: نعم يابْنتي الله أراد أن يمنحك فرصة أخرى للحياة.

_ سمر وقد تملك منها الاندهاش ناظرة إلى نجوى: كيف؟ لقد أجهضت نفسي.

_ نجوى مبتسمة: لقد أجهضت الطفل الأول، ولكن توءمه ما زال بداخلك حفظه الله من أجل إنقاذك وبقائك معنا للآن.

أخذت سمر تتلفت حولها تنظر إلى الجميع غير مصدقة ولا مستوعبة ما تسمعه فتاهت ما بين الابتسام والدموع.

_ وحيد: بعد اكتشاف حملك أوقف المفتي حكم الإعدام حتى تلدي وعامين بعد ولادتك حتى فطام طفلك، وسوف أسعى إلى استئناف الحكم وتخفيفه.

_ سمر باكية: لقد سمع الله دعائي ومنحني حياة جديدة وأكرمني بكم بعد معاناة.

_ وحيد: انتظري لا تبكي فهناك خبر آخر أراد الله أن يفرح قلبك أيضاً به.

_ سمر باكية: خبر ماذا؟

_ وحيد: لقد أحضرت المأذون لزواج أحمد ونجوى في حضورك.

_ سمر ناظرة لنجوى وقد اغرورقت عيناها: حقاً! ألف مبروك.

ثم مدت ذراعيها لتحتضن نجوى التي ارتمت بين ذراعيها.

_ وحيد مكملاً: انتظري... وزواجنا أيضاً... فهل تقبلين الزواج مني؟ هل تقبلين أن أكون أباً لابنك القادم للحياة؟

فرحت سمر وقبل أن تجيبه نظرت إلى أمه كأنها تستأذنها فأجابته بأن قبلت جبهتها وهنا التفتت سمر إلى وحيد وحركت له رأسها.

وأطلقت أم وحيد الزغاريد ودخل عليهم اللواء صفوت ليكون شاهداً على زواج أربعتهم وبداية رحلة جديدة في حياة سمر خلف القضبان.

تمت بحمد الله

سعاد محمد عمر

في 29 مايو 2024

****

رواية
خلف قضبان الحياة
سعاد محمد عمر
الطبعة الأولى
1445 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.